ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

أسبوعية جامعة تصدر كل يوم جمعة • الثمن : 3 دراهم

السنة 33 ـ العدد 923 الجمعة 25 ربيع الثاني 1421هـ ـ الموافق 28 يوليوز 2000م

كلمة العدد

﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾

يحتفل الشعب المغربي هذه الأيام بالذكرى الأولى لجلوس أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس على عرش أسلافه المنعمين.

وهي مناسبة لتجديد أواصر الترابط بين الملك والشعب حيث يتبادلان التعبير عن الولاء والوفاء بأسمى أنواع التعبير وفق السنة الحميدة التي ابتدعها الرعيل الأول من الوطنيين أيام الحماية لإبراز مكانة العرش في قيادة الأمة، وما يرمز إليه من استقلال وسيادة وتجدر في التاريخ، وتجاوب معهم محرر البلاد المغفور له محمد الخامس الذي تحدى القانون الذي أراد تكبيل هذا الاحتفال، وتقنينه وإفراغه من محتواه بمنع كل مظاهر الاحتفالات من استعراضات وخطب، فكانت خطب جلالته نبراساً للأمة، وهداية للعاملين والمجاهدين، وكانت استقبالاته للوفود في هذه المناسبة تحد كبير لسلطات الحماية.

إن الاحتفال بهذه الذكرى تحت إسم عيد العرش له أكثر من دلالة لا من حيث زمن ابتدائه ولا من حيث مقيميه، فقد جاء الاحتفال به من طرف المواطنين سنة 1933 كنوع من الجهاد من أجل إثبات كيان الدولة المغربية، وإبراز الترابط الوثيق بين العرش والشعب، واعتبار الملك رمز السيادة الوطنية والوحدة الترابية والهوية الدينية، والقومية والمذهبية، حيث صار مناسبة لإظهار مقومات السيادة من تعليق لصور الملك، ورفع للراية المغربية، واستعراض للتاريخ الوطني والإسلامي في الخطب والمقالات، مما جعل الدولة الحامية تصدر قرارا وزيريا لتقنين ذلك الاحتفال سنة 1934 حتى لا ينفلت الأمر من يدها، ويتحول الاحتفال بيوم تتويج الملك إلى يوم للانبعاث والتحرر، وهو ما تم بالفعل حيث تحول عيد العرش منذ ذلك التاريخ إلى حدث بارز في تاريخ المغرب يؤكد فيه المغاربة ارتباطهم بالعرش والجالس عليه انطلاقاً من البيعة الشرعية التي قدمت له يوم توليه مقاليد الملك، في حين يقدم الملك في خطابه إلى الأمة بالمناسبة حصيلة جهاده طيلة سنة في قيادة البلاد نحو تحقيق الرقي والازدهار، مبرزاً التوجهات المستقبلية التي يريدها للأمة في مستقبل الأيام.

وبذلك صار عيد العرش أداة من أدوات الجهاد والبناء، والوفاء، والولاء لمواصلة مسيرة الالتحام بين العرش والشعب في ظلال البيعة الشرعية المستمدة من الدين والتي تلزم الراعي والرعية بالذب على ما جاء به سيد المرسلين من شريعة ربانية ومبادىء إسلامية حنيفية، تدعو إلى الصلاح، وتجمع الناس على مكارم الأخلاق والاهتداء بالكتاب والسنة، وما أجمع عليه السلف الصالح من أجل أن تكون أمتنا خير أمة ﴿تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتومن بالله﴾. وفي هذا الإطار يندرج الاحتفال بيوم تربع أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس على عرش أسلافه ليواصل قيادة المغرب على سنن أسلافه الطاهرين الذين أبلوا البلاء الحسن في الحفاظ على الدولة المغربية الشريفة، ضمن حدود آمنة ينعم سكانها بالطمأنينة والأمان في دينهم ودنياهم، داعين لجلالته بالمناسبة بالنصر والتأييد والعمر المديد، مشدود الأزر بشقيقه السعيد المولى الرشيد، وبحب شعبه الوفي، إنه سميع مجيب.

ميثاق الرابطة

تهنئة وتبريك بمناسبة الذكرى الأولى لتربع جلالة الملك محمد السادس على عرش أجداده الأكرمين

تحل الذكرى الأولى لتربع جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، وهي مناسبة عزيزة تعبر فيها الأمة المغربية عن مشاعرها الصادقة نحو جلالة الملك ووفائها للعرش العلوي المجيد.

وبهذه المناسبة السعيدة، تتقدم رابطة علماء المغرب وجريدتها «ميثاق الرابطة» ومجلتها «الإحياء» بأسمى عبارات التهنئة والتبريك إلى أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، سائلة العلي القدير أن يحفظ المغرب في جلالته، وأن يمده بعونه وتوفيقه حتى يحقق لشعبه الوفي، كل ما يصبو إليه من تقدم وازدهار، ويشد أزره بصاحب السمو الملكي الأمير السعيد مولاي رشيد وجميع أفراد الأسرة المالكة. إنه سميع مجيب.

تأملات و خواطر

محمد السادس... الملك الإنسان

بعد أن اعتلى عرش أسلافه المنعمين، وبعد رحيل والده المغفور له جلالة الحسن الثاني إلى دار البقاء قام خلفه الصالح جلالة الملك محمد السادس حفظه الله بتدشين سلسلة من الرحلات والزيارات لمختلف مدن وأقاليم مملكته، كانت مظاهر الفرح والابتهاج في كل مكان تترجمها الهتافات الصادرة من قلوب أبناء شعب أبي يبادل ملوكه حبا بحب، ووفاء بوفاء، ففي كل مدينة عرس وفي كل قرية فرحة.

ساقتني الصدفة السعيدة وأنا بين أهلي وأصدقائي لأكون بين الجماهير المحتشدة للقاء مليكها الحبيب في مدخل تطوان بجوار رمزها المعروف "الحمامة البيضاء" كان وجه جلالته الطافح بالجمال والنور يشرق بالابتسامة والحنان الانساني، وهو ينحني متواضعا لرسم قبلة أبوية على وجه طفل ، أو لمواساة معوق مقعد، أو يصافح شيخا طاعنا، أو ينحني مسلما على عجوز مسنة جاءت من ضواحي المدينة لتفوز بنصيبها في السلام عليه أو لمس يده الكريمة، كانت الحناجر تبح بالفرحة ومئات الآلاف من سكان المدينة الشمالية تردد نشيدها الأبدي معلنة عن حبها ووفائها لملك الفقراء محمد السادس.

محمد الخفر الريسوني

إن أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس يتمتع بخصائص فريدة نابعة من تربيته العالية على يد والده المغفور له الحسن الثاني الذي كان له أبا وأستاذا، فلقد حباه الله بحس إنساني رفيع المستوى يدل عليه سلوكه واهتمامه بالعمل الاجتماعي منذ كان وليا للعهد، وبمساعدته للفقراء والمحتاجين والمعوزين، وعن هذه الصفات الانسانية والخلقية قال عنه الاستاذ عبد الهادي بوطالب في إحدى شهاداته:إن له صفات في التواضع وحسن الخلق وحسن الشمائل ما يجعل منه ملك المؤسسات الدستورية.

لقد لفتت انتباهي في ذلك الاستقبال العظيم الذي خصصته له تطوان صورة ارتسمت وعلقت في ذهني، صورة تلك المرأة المندفعة بين الحشود ليكون لها حظ من الاقتراب من جلالته لتحيته. وحدث أن سقط غطاء رأسها على الأرض من شدة الازدحام، فما كان من جلالة الملك إلا أن انحنى لالتقاطه بيديه الكريمتين وإعادته لها.

وصورة أخرى لفتت جميع الانظار يوم زار جلالته مدينة الخميسات، والأمطار تهطل بغزارة، والجماهير المحتشدة المتراصة تستقبل عاهلها بالحب والترحاب فأبى حفظه الله إلا أن يحييها ويندمج فيها برغم البلل وزخات الماء.

ياله من تواضع جم لملك مهيب تربع على عرش الأفئدة والقلوب، في فترة زمنية قصيرة بين اعتلائه عرش الأسلاف والشروع في رحلة الوفاء والولاء واللقاء بجماهير الشعب الوفي.

لقد وضعت الجماهير المغربية كل الثقة في ملكها الشاب وتأكدت من كفاءته والتحامه بقضاياها، وأدخل السعادة والسرور إلى قلوب الآلاف من الأسر عندما أصدر عفوه الكريم على السجناء بإصدار عفو ملكي روعيت فيه وضعية المرضى والمسنين والحوامل والمرضعات والشبان الذين توفقوا في إصلاح أحوالهم. هذا العفو، وهذا التسامح النادر زاد من رفع شأن جلالة الملك محمد السادس ومملكته السعيدة في كل أرجاء العالم.

وبما عهد في جلالته من عطف وصفح رحيم وفضائل ومكرمات أبى نصره الله إلا ان يحيط شعبه بحنو أبوي متميز مستمد من تربيته الاسلامية الأصيلة ومن أخلاق جده العظيمة محمد رسول الله ﷺ.

ويأبى نصره الله وأعزه وذكرى عيد العرش على الأبواب إلا أن يزف لأمته خبرا سعيدا بصدور قراره الحكيم بتخصيص النفقات المرصودة لاحتفالات عيد العرش لمساعدة المحرومين والفئات الفقيرة، فهو قرار رشيد يضاف إلى سلسلة من قراراته الحكيمة التي دشن بها عهده السعيد، قرار يهدف، أساسا، إلى التحلي والتمسك بأخلاق التضامن والتكافل الاجتماعي، وترشيد الانفاق العام لما في ذلك من المصلحة وكل الخير للأمة، ولجماهير الشعب الملتف حول العرش، الوفي، دائما، لجلالة الملك الانسان محمد السادس أيده الله ونصره.

قرار وزيري بتنظيم عيد العرش 1934

صدر قرار وزيري باتخاذ اليوم الثامن عشر من شهر نونبر الذي جلس فيه صاحب الجلالة الشريفة على عرش المغرب عيدا رسميا. ولأهمية هذا القرار ننشر نصه باللغتين نقلا عن الجريدة الرسمية:

الحمد لله وحده

قرار وزيري

يؤسس بموجبه عيد التذكار

يعلم من هذا الكتاب بوجود سيدنا أيده الله أن جناب المخزن الشريف أمر بما يأتي:

الفصل الأول

يؤسس اليوم الثامن عشر من شهر نونبر عيدا لتذكار صعود جلالة السلطان على عرش أسلافه المقدسين ابتداء من هذه السنة فصاعدا.

الفصل الثاني

يقوم باشا كل مدينة من مدن الايالة الشريفة بتنظيم الأفراح الجارية في عهد السلاطين المقدسين بمناسبة فرح بفتح أو حادث سار يحدث بذاتهم المنيفة أو مملكتهم الشريفة وتشتمل على:

أولا– تزيين المدن.

ثانيا – الطرب في الأسواق.

ثالثا– تفريق الثياب والأطعمة على يد الجمعيات الخيرية.

رابعا – يوم عطلة لسائر موظفي المخزن الشريف.

الفصل الثالث:

أما العاصمة التي يحل بها الجناب الشريف فإن بعض أعضاء اللجنة البلدية أو الموظفين أو الأعيان يتوجه تحت رئاسة الباشا للقصر العالي لتقديم مراسم التهاني للجناب العالي وذلك بالنيابة عن أهالي المدينة.

الفصل الرابع:

لما كان الغرض في تمام المحافظة على العوائد ولئلا يحدث بسبب هذا العيد المؤسس ما يمس بالحياة التجارية أو الإدارية في المملكة الشريفة يقرر بأن أفراح العيد لا تجاوز يومه ولا تتعداه إلى غيره كما أنه لا تكون خطب ولا أوفاد الناس والسلام.

وحرر بالرباط في 12 رجب عام 1303 الموافق 26 أكتوبر سنة 1934.

محمد المقري.

اطلع عليه وأذن بنشره: الرباط. في 31 أكتوبر 1934. القومسير المقيم العام هنري بونسو.

عن مجلة المغرب السنة الثالثة– شعبان 1353 .نونبر 1934.

الملك والمملكة بمغربنا عبر العصور

الأستاذ:
محمد بن عمر العزوزي

□ - إن هذا البلد السعيد، وهذه الأرض الطيبة التي حباها الله، وجعلها في أزله أن تكون أرضا إسلامية، يدين أهلها بدين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده المومنين، ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ المائدة بعض الاية: 3.

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ آل عمران الآية: 85.

- فالمغاربة أمة متحدة، وشعب له تاريخ عريق، منذ أن أوجده الله على هذه الأرض، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ما عرفوا حكما مطلقا قط، وإنما ملوك وسلاطين يرث بعضهم بعضا، فالمغاربة ينقادون لملوكهم، ويستجيبون لنداءاتهم، ويمتثلون أوامرهم، يطبقون قول الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ النساء بعض الآية: 59. وأولى الأمر هم: الأئمة والسلاطين والقضاة، وكل من كانت له ولاية شرعية، لا ولاية طاغوتية، - فتح القدير للشوكاني ج: 1 ص: 726. - إلى أن قال: والراجح القول الأول، ويطبقون قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة، يقاتل من ورائه، ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا، وإن قال بغيره فإن عليه منه» انتهى بلفظة مصادره:

- صحيح الإمام البخاري ج: 4 ص: 60 - 61.
- صحيح الإمام مسلم ج: 6 ص: 13 مختصره للمنذري ص: 332 رقم: 1223.
- سنن الإمام النسائي ج: 7 ص: 154.
- سنن ابن ماجة ج : 2 ص : 954 رقم: 2859.
- مسند الإمام أحمد ج: 2 ص: 244 وص: 252 وصفحة: 270 وص: 313 وص: 343 وص: 416 وص: 467 وص: 471.

- ثم هم يطبقون أيضا ما جاء على لسان سيدنا الفضيل بن عياض رحمه الله، فهم يدعون لملوكهم وسلاطينهم بالصلاح، ففي حلية الأولياء وطبقة الأصفياء للحافظ أبي نعيم الجزء السابع ص: 91. حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا أبو يعلى حدثنا عبد الصمد بن يزيد البغدادي، قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: «لو أن لي دعوة مستجابة ماصيرتها إلا في الإمام، قيل له: وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال: متى صيرتها في نفسي لم تحزني، ومتى صيرتها في الإمام، فصلاح الإمام، صلاح البلاد والعباد، قيل: وكيف ذلك يا أبا علي؟ فسر لنا هذا، قال: أما صلاح البلاد فإذا أمن الناس ظلم الإمام عمروا الخرابات، ونزلوا الأرض.

- وأما العباد فينظروا إلى قوم من أهل الجهل، فيقول: قد شغلهم طلب المعيشة عن طلب ما ينفعهم من تعلم القرآن وغيره، فيجمعهم في دار خمسين خمسين أقل أو أكثر، يقول للرجل: لك ما يصلحك، وعلم هؤلاء أمر دينهم، وانظر ما أخرج الله عز وجل من فيهم مما يزكي الأرض فرده عليهم، قال: فكان صلاح البلاد والعباد، فقبل ابن المبارك جبهته، وقال: يا معلم الخير من يحسن هذا غيرك»، انتهى بلفظه.

- والولاة مطلوب صلاحهم، فعن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أشقى الولاة من شقيت به رعيته» معراج البيان ج: 1 ص: 179.

- والمعروف عن أقطار الشمال الإفريقي، أو المغرب العربي الذي هو مهد حضارات قديمة ومراكز نشاطات لشعوب مختلفة جاءوا من أقطار بعيدة، وجاوروا سكان المغرب الأصليين الذين هم البرابرة أبناء مازيغ بن حام بن نوح، والذين سكنوا هذه الديار منذ أزمنة متناهية في القدم.

- ونذكر من الشعوب التي جاورتهم واختلطت بهم: الفنيقيين، فالرومان فالوندال، فالرومان البزنطيين، وأخيرا العرب الذين جاءوا بالإسلام في أواخر القرن السابع الميلادي، وأواخر القرن الأول للهجرة.

- وهذه الفترات من التاريخ هي أدوار متباينة في حياة هذه الشعوب، مليئة بالمكرمات، ومليئة بالأزمات، فإنها لا تخلو من المحاسن والمساوىء.

- ونحن بصدد نشأة الملك بالمغرب، فبعد انتشار الإسلام بالمغرب على يد الفاتحين الأولين، أمثال: عقبة بن نافع الفهري عام 47هـ إلى عام 50هـ حين أسس مدينة القيروان بالبلاد التونسية أولا، وعام 62هـ و64هـ حين وصل إلى شواطىء المحيط الأطلسي ثانيا، فزهير بن قيس البلوي عام 69هـ فحسان بن النعمان عام 73هـ حين هدم قرطاجنة لآخر مرة، ثم موسى بن نصير عام 88هـ والذي فتحت بلاد الأندلس في عهده على يد طارق بن زياد عام 92هـ، والمغرب في هذه الفترات تابع للخلافة الأموية بدمشق، فالدولة العباسية بالكوفة ثم ببغداد إلى غاية عام 172هـ حين وصل إلى المغرب المولى إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن مولانا علي كرم الله وجهه ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمدﷺ.

- وبوصوله إلى المغرب بايعه إسحاق بن عبد الحميد وقبيلته أوربة بمدينة وليلي زرهون حاليا، فتأسس الملك بالمغرب، وأصبح النظام المتبع عند المغاربة لا يحيدون عنه، ولا يريدون به بديلا، وقد تربع على كرسي الملك أو الخلافة أحيانا ملوك عظام من شعوب وقبائل لها الجدارة والمكانة في التاريخ.

- من دولة الأدارسة: 172هـ إلى: 305هـ مدة 333 عاما، ثم المرابطون من: 400هـ إن أعددنا من محمد بن تيفاوت أو من: 447هـ إن حسبنا من أبي بكر بن عمر اللمتوني، إلى: 541هـ فتكون مدة المرابطين 141 عاما أو 95 عاما، فالموحدون من وقت تأسيس دولتهم 515هـ على يد زعيمهم محمد بن تومرت الملقب بالمهدي، وإلى غاية، 668هـ فتكون مدة حكمهم: 153 عاما، فبنو مرين الزناتيين من: 610هـ إلى 875هـ ومدة حكمهم: 265 عاما، فأبناء عمهم بنو وطاس من 876هـ إلى 961هـ ومدة حكمهم 85 عاما فالسعديون من: 915هـ إلى: 1075هـ ومدة حكمهم: 160 عاما.

- وأخيرا الدولة العلوية الشريفة، من 1050هـ وإلى الآن.

- وهناك فترة بين الأدارسة والمرابطين تدعى فترة البربر، وهي قبائل مغراوة وبنو يفرن، زعيمهم موسى بن أبي العافية، خرج في جيش من قومه من قرية مكناسة التي تقع على وادي الحضر، الواقعة بين تازة وقبائل البرنس وقصد بجيشه فاسا، وقتل اخر ملوك الأدارسة، وهو حسن الحجام 305هـ وحكم هو وأولاد وحفدته أرض المغرب مدة تزيد عن مائة عام من 305هـ إلى مابعد: 400هـ وأسماؤهم بعد موسى المذكور: دوناس، وتميم، وفتوح، وعجيسة، وحمامة، وزيري بن عطية مؤسس مدينة وجدة عام 384هـ.

- والدولة العلوية مؤسسها مولاي محمد (فتحا) بن مولاي الشريف بن مولاي علي الشريف ومقر سكنى هذه الدولة ناحية تافيلات (سجلماسة) قديما، وقد بويع عام 1050هـ، وبوفاته في أنكاد ناحية وجدة في المغرب الشرقي، بويع لأخيه المولى الرشيد، وهذا الأخير هو الذي وحد المغرب، وقضى على ما كان منتشرا من الإمارات في جهات مختلفة، كإمارة الدلائيين في الأطلس المتوسط، وإمارة أبي حسون السملالي في ناحية سوس، وإمارة زاوية الشبانات بمراكش، وإمارة أولاد النقسيس بتطوان، وأحمد غيلان بكتامة، وطبعا بقية إمارة السعديين بفاس.

- وكان هناك رجل مجاهد يقاتل الإسبانيين والبرتغاليين على الشواطىء المغربية، وهو أبو عبد الله العياشي السلوي رحمه الله، والذي استشهد بناحية الجديدة عام: 1051هـ.

- ولا ننس أن نذكر رجلا يهوديا كان مستبدا بتازة ونواحيها، واسمه: ابن مشعل وهذا اليهودي قتله المولى الرشيد رحمه الله، وقصته مشهورة عند المغاربة يحكيها الخاص والعام، وبوفاة المولى الرشيد عام: 1082هـ بمدينة مراكش يوم ثاني عيد الأضحى، بويع لأخيه المولى إسماعيل بن مولاي الشريف، وهو بفاس، وانتقل إلى مكناس واتخذها عاصمة لملكه، ودام ملكه وحكمه: 57 عاما، بالإضافة إلى 7 سنوات التي كان فيها خليفة لأخيه المولى الرشيد، فتكون مدة حكمه: 64 عاما، ولم يحكمها أحد من أمراء المسلمين، وفي عهد المولى إسماعيل استتب الأمن بالبلاد، فتاريخ المولى إسماعيل حافل بالأحداث وبالقصص الغريبة، وذلك راجع لقوته وعظمته، وبوفاته عام 1139هـ تولى الملك سبعة من أبنائه في فترة مدتها 32 عاما، وهم: السلطان مولاي عبد الله وهو أشهرهم، وأحمد، وعبد الملك، وعلي، والمولى محمد، والمولى المستضيء، والمولى زين العابدين، وهؤلاء الملوك السبعة منهم من تولى الملك مرة واحدة، ومنهم تولاه مرتين، ومن تولاه 3 مرات، والمولى عبد الله تولى الملك أربع مرات، وسبب ذلك يرجع إلى استفحال أمر جيش البواخرة، أحد الجيوش المولى إسماعيل الثلاثة.

- وبوفاة المولى عبد الله يوم الخميس 27 صفر عام 1171هـ بويع لابنه سيدي محمد بن عبد الله السلطان العالم صاحب التآليف والأعمال الاجتماعية الشهيرة، وبوفاته عام: 1204هـ بعد حكم دام 33 عاما، تولى الملك ابن المولى يزيد، ولم تطل مدة حكمه إلا عامين اثنين، فتولى أخوه المولى سليمان، وحكم 32 عاما من: 1206هـ إلى: 1238هـ وبوفاته انتقل الملك إلى ابن عمه المولى عبد الرحمان بن هشام الذي حكم مدة 38 عاما، من 1238هـ إلى: 1275هـ ثم ابنه المولى محمد بن عبد الرحمان لمدة 15 عاما وبوفاته 1290هـ تولى الملك السلطان المولى الحسن الأول الذي حكم 21 عاما، وكلها أعمال اجتماعية وثقافية وعسكرية، ولما توفى رحمه الله عام 1311هـ تولى الملك أبناؤه الثلاثة المولى عبد العزيز 14 عاما والمولى عبد الحفيظ خمسة أعوام، والمولى يوسف ستة عشر 16 عاما، وبوفاة هذا الأخير عام 1346هـ 1927م تولى الملك أبو النهضة وأبو الاستقلال الملك الثائر بطل العروبة والإسلام محمد بن يوسف محرر المغرب ومنقذ البلاد من براثن الاستعمار، وليس محررا للمغرب فقط، وإنما هو محرر للقارة الإفريقية عامة، فمحمد الخامس المثل الأعلى في التضحية والكفاح، توفي رحمه الله يوم 10 رمضان عام 1381هـ/ 28 يبراير 1961م فتربع على العرش بعده جلالة الملك الحسن الثاني فعمل على النهوض بالبلاد في كافة الميادين، وبعد حكم دام 38 عاما انتقل إلى عفو الله تعالى يوم الجمعة 23 يوليوز 1999م فتولى الملك بعده الملك الشاب سيدي محمد بن الحسن بن محمد بن يوسف، وقد شرع حفظه الله في إعطاء الانطلاقات لعدد من المشاريع التنموية، جريا على سنن أسلافه المنعمين، وها هو الشعب المغربي سيحتفل بعيد العرش السعيد عندما تحل الذكرى الأولى لتربعه على كرسي المملكة بعد أيام، فالمغاربة أوفياء لملوكهم، والحب متبادل - دائما - بين العرش والشعب، سنة الله التي قد خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا، فالإحتفال بعيد العرش عبارة عن وقفة أشبه باستراحة لقافلة جدت في السير، فوقفت برهة من الزمن، وتنفست الصعداء، لتستأنف بعد ذلك سيرها، وتواصل عملها، وصدق الله العظيم: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله علمكم ورسوله والمومنون﴾، التوبة بعض الآية 105. أيها المغاربة جدوا في العمل، وتمسكوا بما كان عليه سلفكم الصالح، وكونوا مسلمين حقا مومنين صدقا، والسلام ❑

يوم عيد العرش
معيار الحيوية المغربية

الحياة «جريدة» ع 39 /6/ 12/ 1934

❑ ليس في استطاعة «الحياة» أن تنشر مختلف الرسائل التي وصلتها من كافة أنحاء المملكة في وصف الحفلات العظيمة، التي قام بها الشعب المغربي تمجيدا لعرشه الخالد، وتكريما لجلالة الملك المحبوب سيدي محمد بن يوسف، فذلك شيء كثير يحتاج نشره إلى أعداد كثيرة.

لكن الذي يهم الإطلاع عليه، والذي يجب تسجيله للحقيقة والتاريخ، هو أن يوم عيد العرش كان يوما شعبيا مشهودا في التاريخ المغربي، فقد احتلفت فيه سائر طبقات الأمة المغربية نساء ورجالا في كافة المدن والقصبات، ورفعت فيه الراية الوطنية على كل مكان، وأقيمت الأفراح والحفلات في جميع الأسواق والمتاجر، ووزعت فيه الصدقات على الفقراء والمساكين، وتذكر الناس جميعا أن لهم عرشا ودولة وسلطانا، فكانوا يتبادلون التهاني الخالصة، بلسان الأخوة الصادقة، على هذا الحادث العظيم.

وفي الساعة الثامنة من يوم عيد العرش أخذت المدافع تقوم بعملها، فألقت إحدى وعشرين طلقة في كافة الجهات القائم بها الإحتفال، تذكارا للساعة التي أعلن فيها نصر جلالة الملك منذ سبع سنين.

وقد نصبت أقواس النصر في كثير من الأماكن، وعرضت صورة صاحب العرش أمام الزائرين، محاطة بالرايات المغربية الحمراء، وكانت الهتافات للإسلام، والمغرب، والملك، والوطنية، تشق عنان السماء.

وذهب إلى صاحب الجلالة من تلغرافات التهنئة ما يملأ عدة سجلات، فقد ظل مكتب التلغراف طيلة ذلك اليوم مغمورا بالأشغال التي تكاثرت عليه، والأمر الذي يؤرخه التاريخ لأول مرة في عهد الحماية الأجنبية، هو توارد التلغرافات من رعايا جلالةالملك في سائر مناطق المملكة، وإقبال الجمهور على الإحتفاء بعيد العرش، والتفاني في إظهار الولاء والإخلاص نحو ملك البلاد، بوازع نفساني، ودافع اختياري، الأمر الذي لم يعهد في الإحتفالات المعروفة من هذا النوع.

والواقع أن عيد العرش عيد «شعبي» قبل أن يكون حكوميا، فقد طالب بإحداثه ممثلو الشعب، وأحيا فكرته من جديد خدام الشعب، و «رسمية عيد العرش» تعتبر انتصارا للشعب، وهكذا فهم الشعب المغربي، فقام بواجبه نحو ملكه أحسن قيام، وقد لاحظت الجرائد الفرنسية الخصائص الشعبية التي امتاز بها هذا اليوم، «وأنه أجاب رغبة عميقة في نفوس المغاربة، وأن السلطان لم يبق كما كان من قبل سلطان الأجسام فقط، ولكنه أصبح سلطان القلوب والأرواح».

وتأثرت الأوساط الفرنسية من عدم وجود الراية المثلثة في احتفالات عيد العرش بأكثر المدن وأكثر الأسواق، ونسي هؤلاء القوم أنهم هم الذين دفعوا المغاربة إلى هذا الاتجاه، حيث قصروا الاحتفال بعيد العرش على المسلمين وحدهم، واعتبروا أنفسهم أكبر من أن يحتفلوا بعرش ملك المغرب! فجعلوا إدارتهم، وموظفيهم، وأبناكهم، ومتاجرهم، وأحياءهم، في حل من هذا الاحتفال حسب القرار الذي وضعوه... على أنه ما معنى رفع الراية الفرنسية في احتفالات مغربية خالصة، بعيد مغربي صرف، هو عيد نصر السلطان؟

هذا وقد قام أعضاء الكتلة الوطنية العاملة باحتفالات وطنية خاصة، للمشاركة في عيد العرش مشاركة عامة، وقد حضر هذه الاحتفالات كافة طبقات المواطنين، مما جعل الإدارة الفرنسية تقدر من جديد نفوذ الوطنيين في المنطقة السلطانية، وتمتعهم بثقتها المطلقة، رغما عما يعيشون فيه من ضغط وإرهاق.

وفي طليعة التلغرافات المهمة التي وصلتنا، تلغراف أعضاء الكتلة الوطنية بالعاصمة الرباطية الذي ننقله لقراءنا كنموذج لتلغرافات التهنئة التي وجهت إلى جلالة الملك!

«بمناسبة الذكرى السابعة لجلوس جلالتكم الشريفة على العرش المغربي، ذي المجد العريق، والفخر العتيق، يتشرف أعضاء الكتلة الوطنية العاملة في الرباط بتقديم أسمى عبارات التهاني إلى الملك المحبوب، تاج البلاد وأمل الأمة، الذي ورث العرش عن أسلاف كرام، حافظوا على وحدة التراب المغربي، ووحدة الأمة المغربية، دينيا وقوميا طيلة القرون العديدة، وبسطوا بالحكمة والعدل سلطتهم على من أنضم إلى لوائهم السامي. وإننا ننتهز هذه الفرصة السعيدة لنؤكد لمولانا الإمام، وسمو ولي عهده الهمام، عميق إخلاصنا، وعظيم ولائنا، وشديد تمسكنا بالعرش الكريم، الذي يمثل لنا مجد الأمس، ونهضة اليوم، وسعادة الغد، ونسأله تعالى أن يحفظ جلالتكم الفخيمة لهذا الشعب النبيل، حتى تحققوا آماله، فيتم ما بقي من الإصلاحات على يدكم الشريفة، وتصل أمتنا إلى مقامها الأول، بين كبريات الدول.

عن أعضاء الكتلة الوطنية:

«أحمد الشرقاوي،

محمد المكي الناصري،

محمد اليزيدي» ❑

بيعة المغاربة لملوكهم
نموذج من بيعة الصحابة رضوان الله عليهم

الأستاذ :
المصباحي الصغير

□ من مظاهر النظام، وشواهد الأحكام في شريعة الإسلام أنه جعل لكل جماعة من الأمة راعيا يرعاها فالأسرة جعل لها الرجل ينهض بتبعاتها ويقوم على شؤونها والجند أقام لهم قائدا يوجههم ويسوسهم، والأمة جعل لها واليا أو خليفة يسهر على راحتها وسلامتها وعزها وكرامتها ولقد ذكر الرسول ص ألوانا من الرعاية ثم قال (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...) ولما كانت الولاية على الأمة، وقيادة أمورها من أخطر المناصب في المجتمع، شرع الإسلام لها نظام الخلافة وجعل هذه الخلافة قائمة على الاستخلاف والتوكيل، وهادفة إلى الإهتداء بالدين الحنيف وإعطاء حق القوي والضعيف، ودفع العدوان عن الإسلام والمسلمين ورعاية حقوق وواجبات الجميع بكل أمانة وإخلاص، وجعلها لا تنعقد إلا بإرادة الأمة، فهي بيعة تتم بالرضى والاختيار والاقتناع، لأن أمر المؤمنين قائم على التشاور والتناصح والتعاون على الخير، ولذلك رغب الإسلام الناس في الشورى ودعاهم إلى استعمال أسلوب البيعة المفيد في إيقاض الهمم وإحياء النفوس وجمع القلوب وتوحيد الصفوف وتذليل الصعاب وتقوية التعاون بين الحاكمين والمحكومين فقال عز وجل: (وشاورهم في الأمر) وقال سبحانه: (وأمرهم شورى بينهم) وقال جلت قدرته: (وتعاونوا على البر والتقوى) وهذه البيعة اللازمة لمن يتولى أمور الدولة ومعناها إعطاء العهد الاختياري على السمع والطاعة لولي الأمر المهتدي بهدي الله القائم بشرعه وأحكامه ومن ثم تصبح طاعة ولي الأمر واجبة استجابة لأمر الله تعالى ولأمر رسوله ص كما في قول الله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ويلزم المؤمن حينذاك أن يكون صدوقا في بيعته وفيا في معاهدته دائما على طاعة ولي أمره والإمتثال لأوامره.

والمثل الأعلى للبيعة في الإسلام، وفي تكوين الدولة الإسلامية هي البيعة التي بايعها الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله ص في شجرة الرضوان في غزوة الحديبية وهي التي عطر التنزيل الحكيم ذكرها وخبرها حين قال الله تعالى: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما) وحين قال جلت قدرته: (لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) وكما بايع المؤمنون رسولهم ص بايعوا خلفاءه الراشدين من بعده ثم من بعدهم وهكذا، وكان أولائك الأعلام يقدرون عظم التبعة التي ألقيت على كواهلهم حق قدرها حين افضت إليهم الخلافة فقال أولهم وهو الصديق أبو بكر يوم تولى الخلافة :

(أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، إلا وإن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، ألا وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه).

وهذا عمر الفاروق عندما تولى الخلافة يقول: (من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه) فيقول له قائل من المسلمين: (والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا يا عمر) فلا يبتئس الخليفة عمر بذلك ولا يغضب أو يحزن، بل يقول: (الحمد لله الذي جعل في الأمة من يقوم اعوجاج عمر بالسيف).

ولقد ذكر أهل البصر بالإسلام والدراية بمبادئه، إن من شأن الخليفةأو الوالي أو الإمام (الحاكم) أن يكون من أهل النجدة، ويراد بها القوة وإعداد العدة لرد العدوان وصد أهل البغي، وأن يتصف بالكفاية ويراد بها الإهتداء إلى وجوه الإصلاح والاقتدار على التصرف في معضلات الأمور وأن يتصف بالخبرة والدراية بما يجوز وما لا يجوز، وبما يحل وما يحرم. وبمثل هذه الصفات الحميدة يصبح الإمام أهلا للقيادة، وجديرا بالمحبة والإخلاص والوفاء، ومستحقا للسمع والطاعة والولاء، لأنه حينئذ يدخل في مفهوم قول الرسول ص: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم - أي تدعون لهم - ويصلون عليكم). والإمام متى بايعته الأمة وأسلمته زمامها وارتضته قواما على أمورها، كان واجبا عليها أن تصدق في معاونته وأن تخلص في طاعته وفي محبته، وقد حذر رسول اللهﷺ من نقض عهد البيعة بقوله: (من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه، فاضربوا عنق الآخر منهما) وقال عليه الصلاة والسلام: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني) صحيح مسلم.

وعن عبادة قال بايعنا رسول الله ص على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى اثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، وعلى ان نقول بالحق اينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم).

وقد أشار القرآن الكريم من طرف دقيق عميق إلى أن البيعة الصحيحة التامة المخلصة هي التي يعطيها المؤمن بوحي من دينه، ودافع من يقينه والتي تقتضي منه أن يكون على استعداد دائم لبذل نفسه وماله في سبيل عقيدته وولي أمره ووطنه، لأن البيعة مشتقة من مادة البيع جريا على عادة العرب والبيع فيه طرفان مشتر وبائع كما في قوله الله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم) ولذا فإن الإسلام يحذر المبايع تحذيرا شديدا من نقض بيعته لولي أمره بعد انعقادها ويحذر من الخروج عليها بعد إعطائها بصدق وإيمان وطواعية واختيار، والرسول ص يقول: (من خلع يدا من طاعة الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية).

واذا كانت البيعة هي الإعلان عن موافقة الأمة على تنصيب إمام عليها فإن طريقتها تختلف من عهد لآخر لأنها أرسخ أساس للمجتمع المؤمن الفاضل والذي تتوافر فيه أمة واعية مطيعة عن إيمان وبصيرة، ومن بين إخلاص الرعية لراعي شؤونها، ينبعث الخير والسعادة للجميع وتستحق الخيرية كما في قول الحق سبحانه: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله).

إن البيعات والوعود التي نهج عليها المسلمون منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم في تنصيب ولاة أمورهم لها دور كبير في استقرار دولة المسلمين وعزة المؤمنين لأنها تكتب بالأسلوب الإسلامي الذي يخاطب القلوب ويحاسب النفوس ويصلح العقيدة ويشحذ الهمم، ويوحد الصفوف ويشجع على الاستمرارية والطاعة لأمراء المؤمنين، ولأن مدلولها يطبق عمليا منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم وبالكيفية التي تسعى لعمارة الأرض وتركيز الأمن في الإسلام بين المسلمين، والقيام بالعمل الصالح لاستمرار خلافة الله في الأرض على الشكل الذي يريده الله عز وجل. أما البيعة في المغرب فإنها تتم وفق المبادىء الإسلامية منذ القديم حيث تبنى على المقاصد المعتبرة في الإسلام، فكما كانت أول بيعة مغربية للمولى الإدريس الفاتح تلتها بيعات مماثلة وخاصة في عهد ملوك الدولة العلوية الشريفة، ومنها بيعة أمير المؤمنين جلالة الملك محمد الخامس وبيعة أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراهما وأسكنهما فسيح جناته، وعلى ضوء البيعة الشرعية تمت بيعة أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس حفظه الله وأيده.

وتعتبر مناسبة تقديم البيعة في المغرب عيدا وطنيا سعيدا يتجلى فيه أهم مظهر من مظاهر الشخصية المغربية المتميزة بالإيمان بالله والولاء للوطن والطاعة للعرش الذي يتحمل مسؤولية الدفاع عن القيم والمقدسات الوطنية منذ قرون خلت تلك المسؤولية التي يترجمها الملوك بأقوالهم وأفعالهم عبر العصور، والتي عبر عنها جلالة الملك الحسن الثاني قدس الله روحه في بعض خطبه بقوله: (إننا ماضون في طريق الحق والجهاد، لا نحيد ولا نزيغ، ننشد الخلاص، ونسعى إلى التحرير ونبذل الجهد الخالص لوجه الله رب السماوات والأرض غير هيابين ولا خائفين ولا ملقين لتحرشات الأعداء ومناوشة الخصوم).

ويعبر عنها كذلك أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أعز الله أمره بأعماله المثمرة البناءة وجهوده المخلصة المتواصلة، في مختلف المجالات وعلى جميع الأصعدة.

وهكذا كان المغاربة ولا يزالون في بيعاتهم لملوكهم قديما وحديثا وفق المبادىء الشرعية، بحيث لا يقبلون عليها إلا عن طواعية واختيار، ورضى واقتناع، وعندما تصير البيعة في أعناقهم يلتزمون بها التزام المؤمنين الصادقين، وما أكثر المواقف الصادقة التي تعبر بكل وضوح عن التزام المغاربة الفريد من نوعه في بيعاتهم لملوكهم ومحبتهم لهم وولائهم وإخلاصهم وطاعتهم وذلك عبر العصور وخاصة عصر جلالة المغفور له الملك محمد الخامس وجلالة المغفور له الملك الحسن الثاني قدس الله روحهما وكذلك في عهد أمير المؤمنين وحامي حمى الوطن والدين جلالة الملك محمد السادس أدام الله له الحفظ والنصر والعز والتمكين، والرفعة والسؤدد، وحفظه الله تعالى في شقيقه صاحب السمو الملكي الأمير الأسعد مولاي رشيد وكافة أفراد الأسرة الملكية الشريفة، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

والسلام عليكم ورحمة الله □

الإمامة والشورى في نظام الحكم الإسلامي

الأستاذ:
عبد اللطيف البغيل

□ بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قرأت إعلان جريدة ميثاق الرابطة الغراء – عدد يوم 13 ربيع الأول 1421هـ – عن كونها ستخصص عدداً خاصا، لمعالجة، موضوع نظام الحكم في الإسلام بمناسبة عيد العرش المجيد، وإني أرى أن هذه بادرة طيبة، لإغناء هذا الموضوع وإثرائه ببحوث العلماء، ومساهمات الباحثين.

ويسعدني أن أساهم بهذا الموضوع الذي سأتطرق فيه لمعالجة محورين هامين، في نظام الحكم في الإسلام، وهما الإمامة، والشورى، فالإمامة منصب سام يمثل قمة هرم السلطة في نظام الحكم في الإسلام، والشورى تعتبر في النظام الإسلامي كمؤسسة شرعت لتكون عوناً للإمام، وسنداً له، وقد أمر الله عز وجل الإمام بالرجوع إلى هذه المؤسسة. وأخذ المشورة من أهلها في عظائم الأمور. فقال تعالى موجهاً الأمر لإمام المسلمين النبيﷺ: ﴿وشاورهم في الأمر﴾(1) فكانت الهيئة الاستشارية التي أمر النبيﷺ باستشارتها كالحكومة في الوقت الحالي، والأمر في الاية الكريمة هو منشأ الارتباط بين الإمامة والشورى.

وسأعمل على دراسة هذا الموضوع الهام – حسب استطاعتي المتواضعة من خلال نقطتين اثنتين:

النقطة الأولى: الإمامة العظمى في النظام الإسلامي:

1 – الإمامة العظمى تعني رئاسة الدولة الإسلامية، والإمام في مفهومه العام يعني الخليفة، أو رئيس الدولة الإسلامية الأعلى، فيصدق أن يكون الإمام ملكاً، أو رئيساً للجمهورية أو مجلس سيادة أو نحو ذلك مما تنص عليه الدساتير، والإمام في الدولة الإسلامية يرى الفقهاء أنه موكول إليه القيام بأمرين هامين، هما: إقامة الدين الإسلامي، وتنفيذ أحكامه، أولا والثاني، القيام بسياسة الدولة، وهناك أمور أخرى موكولة إلى الإمام، ستأتي الإشارة إلى بعضها لاحقا.

2 – ولا شك أن الإمام استخلفه الله في الأرض على عباده، ويقرر القران الكريم صراحة أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق للكون، وما فيه من كائنات، فهو رب الناس، رب العالمين، وأنه مالك الملك يؤتيه لمن يشاء، وينزعه ممن يشاء، فهو السيد المطلق وحده، والناس كلهم عبيد، وهم سواء في درجة العبودية لله، كما أنهم سواء في نسبتهم إلى الخالق المالك لا يتفاضلون إلا بمبلغ إيمانهم بالله، واستمساكهم بشرعه، ومدى ما يقدمونه من خدمات لعالم المؤمنين، ويقرر القران الكريم كذلك، أن الله استخلف احاداً من الناس خصهم برحمته وحملهم هدايته إلى الناس ابتغاء سعادتهم في الدنيا والاخرة قال تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾(2) وقال: ﴿ياداود إنا جعلناك خليفة﴾(3) وقال: ﴿إن الله اصطفى ادم ونوحا﴾(4) هكذا إذن نرى أن القران الكريم يقرر أن الملك يوتيه الله لمن يشاء. ﴿توتي الملك من تشاء﴾،(5) وقال: ﴿رب قد اتيتني من الملك﴾.(6)

والإمام العادل المؤمن يتقوى في حكمه، وسياسته لرعيته بالشعور العظيم بأنه مستخلف في البلاد بإرادة الله، ولا شك أن هذا الشعور يجعله يقدر المسؤولية العظمى التي تطوق عنقه، ويعمل كل ما في وسعه لينال رضى الله تعالى، ورضى الناس.

3 – وكما أن إيتاء الملك هو بإرادة الله يوتيه من يشاء، فكذلك الناس محتاجون إلى إمام عادل يحكم بينهم، ويسهر على أمنهم، وأمن بلادهم وأموالهم، كحاجتهم إلى دين يدينون به، وبهذا تكون الإمامة العظمى من الدين. وقد أحس الصحابة الكرام رضوان الله عليهم بحاجتهم إلى إمام، بعد أن التحق النبيﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولذلك فإنهم رغم هول الفاجعة التي ألمت بهم، وعصفت بأفئدتهم، ورغم الحزن الذي اعتصر قلوبهم، فإنهم مع كل ذلك، اجتمعوا في صعيد واحد ليقرروا في مسألة خلافة الإمام الأعظم مولانا رسول اللهﷺ فمن يخلفه؟ وكيف يعالجون مسألة الخلافة الشائكة مادام الأمر شورى بين المؤمنين؟

وقد كان صعباً على المسلمين اختيار خليفة مناسب للنبيﷺ فكثرت الترشيحات، وصعب الاختيار، وتضاربت الاراء، وقد كادت أن تحدث فتنة بين الصحابة، كما هو معروف،(7) وسرعان ما أطفأ الله الفتنة، فحلت مشكلة الخلافة على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه برواية حديث رسول اللهﷺ «الأئمة من قريش»، وبلسان عمر رضي الله عنه عندما قال للأنصار: «لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم».

وبعد محاورات، ومقالات انتهى الأمر إلى مبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وتجدر الإشارة إلى أن حاجة الناس إلى إمام ودولة لا تعكسها مسألة اختلاف الصحابة في إيجاد خليفة للنبيﷺ وحسب بل إن سيرة النبيﷺ تدل على أن الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة كانت حدثاً هاما بين فترتين أو حدا فاصلاً بين عهدين، أولهما يتسم بالنبوة، والدعوة الخالصة. وثانيهما: يتصف بالنبوة والدعوة والدولة معاً. فالمرحلة المدنية من حياة الدعوة الإسلامية كانت مرحلة بناء دولة إسلامية يقودها الرسول الأعظم، بعد أن بايعه المسلمون قبيل الهجرة، وبايعوه بعدها، وقد كانت المدينة المنورة المكان المناسب لإقامة هذه الدولة بعدما تعذر إقامتها في مكة.

فالمرحلة المدنية كانت مرحلة حاسمة في ترشيح قضية الإمامة، باعتبارها حاجة أساسية تضمن تقدم الإسلام، وانتشاره، وليس هذا وحسب بل إن جماعات المسلمين في المدينة أصبحت واعية بضرورة تشكيل سلطة معينة يوكل إليها أمر حفظ النظام، والسهر على تطبيق الأحكام بين المسلمين وتنظيم معاملاتهم. ولهذا قال قائلهم(8) للنبيﷺ لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك. وفي هذه المقالة ما يكفي للدلالة على شعور جميع الصحابة بضرورة وجود إمام مطاع يقودهم. ولم يكن هناك خير من النبيﷺ ليقوم بذلك.

ومن هنا نرى أن التشكيل الأساسي للسلطة الذي لا غنى عنه هو أن تتكون من إمام، وأهل شورة وأفراد من الشعب يقومون بالمصالح حسبة، وتطوعا، أو بتكليف من الإمام، وكان هذا التشكيل هو القائم في عهد النبيﷺ، وكان المقربون من أهل شورته – كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. هم وزراؤه وكان يبعث الولاة إلى الأمصار، كما بعث معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري إلى اليمن للدعوة للإسلام، وجمع الزكاة، وإمامة القضاء، وقد تركوا الناس على أعرافهم في الإدارة والنظم. وظلت نظم الفرس والروم سائرة في البلاد التي افتتحها المسلمون بعد ذلك، فإن نظم الإدارة بصورة عامة – لا تخالف أصول الشريعة، وأشكالها من الملاءمات الوقتية، والزمانية التي لا بأس بها في نظر الإسلام بصفة عامة.

ومن هنا أقول إنه لم يكن في الوسع تقدم الإسلام، ولا بعث البعوث، ولا تحقيق النظام بدون وجود إمام مطاع، تمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه، ومن هذا النظام النبوي، تستمد أصول نظام الحكم الإسلامي، في كل العصور، والأزمان اللاحقة المتعاقبة إلى يومنا هذا.

ولعمري أن هذا النظام الحكمي المثالي الذي يقوم على الرضائية، بين الإمام، وأهل الحل والعقد من أمته، وبالتالي من كافة أفراد شعبه، هو النظام الذي أرشد الله آباءنا وأجدادنا، وهدانا إلى الأخذ به في مغربنا الحبيب – زاده الله قوة، ومتعة، وتقدماً وازدهاراً وأمناً

في عهد عاهلنا المفدى جلالة الإمام المعظم مولانا محمد السادس - منذ المولى إدريس الأكبر مروراً بالمولى علي الشريف، إلى يومنا هذا، إذ يبايع الإمام ليحكم بين الناس بالحق والعدل، وفي مقابل ذلك يعاهد على السمع والطاعة، ولا شك أن الله تعالى يبارك هذا العقد، ويعين الإمام لأنه يمثل المشروعية، ويستمد إمامته من الشرع.

4 - والشرع يقضي بأن يعين الإمام برضا الشعب، عن طريق البيعة، ولكن قبل البيعة، هناك مرحلتان اثنتان يمر بهما الإمام.

1 - المرحلة الأولى: وهي مرحلة الترشيح للإمامة، فيرشح الإمام السابق أو أحد أهل الرأي الإمام اللاحق، ومن أمثلة ذلك ترشيح أبي بكر لعمر، أو أبي عبيدة في اجتماع السقيفة، وترشيح عمر لأبي بكر بعد أن رفض عمر، وأبو عبيدة ترشيح أبي بكر لهما، وكذلك ترشيح أبي بكر لعمر عندما حضرته الوفاة، وترشيح عمر للستة بعد أن طعن...

- المرحلة الثانية: مرحلة الاختيار وقبول الترشيح، وفي هذه المرحلة يختار أهل الشورى واحداً من المرشحين إذا تعدد المرشحون، أو يوافقون على اختيار المرشح إذا كان واحداً.

وقد قال الأشاعرة إن الاختيار هو الطريق الأول لتعيين الإمام، ووافقهم في ذلك الجبائية والبشهمية - من المعتزلة - وسار عليه المتأخرون من المعتزلة كالقاضي عبد الجبار المعتزلي صاحب المغني في العدل والتوحيد وغيره.

ولاية العهد تعتبر من قبيل الاختيار:

تعتبر ولاية العهد من قبيل الاختيار من الناحية الشرعية، وهي أن يقوم الإمام باختيار من يليه للإمامة على نحو ما عندنا حيث إن الأئمة من سلالة الأسرة العلوية الشريفة.

وميزة هذا الاختيار هو أن الإمام لا يختار لخلافته إلا إن صلح النافع لوطنه وأمته، حيث إنه يجعل ولي عهده إلى جواره، وتحت نظره، يشركه في أمور الحكم، ويعرفه على أساليبه، حتى إذا أراد الله تعالى أن يتولى ولي العهد سدة الحكم، سهل عليه الأمر، فلم تتأثر مصالح الأمة بانتقال الإمامة.

- المرحلة الثالثة: وهي التي افتتحنا بها هذه الفقرة الرابعة وهي البيعة.

- والبيعة هي مظهر الاختيار والدليل عليه. وتعني كما قال ابن خلدون، العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمر المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره.

فالبيعة كالبيع عقد بين طرفين أشبه بما بين البائع والمشتري، فالإمام طرف، والجماعة الإسلامية وأولوا الرأي من الأمة من ناحية أخرى، وتسيير شؤون الأمة والقيام على أمر دينها، ودنياها فهو موضوع البيعة ومحله.

ولا ينعقد العقد إلا بإيجاب وقبول، الإيجاب من أولي الرأي في الأمة، أو أهل البيعة، وهو عبارة عن اختيار الإمام، والقبول من جانب الإمام الذي اختاره أولوا الرأي في الأمة. فالبيعة هي من أهم الواجبات الشعبية في الإسلام، يتولاها العنصر المؤثر في الجماعة - وهم العلماء - عن غيرهم، ويجوز أن يتولاها كل مسلم عن نفسه.

- وقد شرع الله البيعة للإمام بقوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجراً عظيما﴾(9)

- وبايع الصحابة رضوان الله عليهم النبيﷺ منذ أن كان بمكة، كما بايعوه وفودا وجماعات، خاصة بيعة العقبة التي هاجر بعدها إلى المدينة، وكثرت بيعة الوفود في العام التاسع حتى سمي عام الوفود، وبذلك مضت السنة على مبايعة الناس الإمام، إلى اخر ما في الأمر.

5 - ولا يخفى أن مبايعة الإمام تحمل الطرفين التزامات متبادلة أهمها كما سبق مجملاً:

- أن يحكم الإمام بالعدل، وهذا الالتزام حمله الله تعالى للإمام، إذ أمره بالعدل أمراً صريحاً، فقال تعالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾.(10)

وقد تتناول هذه الآية أول ما تتناول حكم القضاء. ولكن صياغتها الشاملة تعم بلا شك عدل السياسة، وتدبير شؤون الرعية، فلا موجب للتقييد، ولا مسوغ للتخصيص، وإضافة إلى هذه الآية وغيرها كثير. فقد تحدث النبيﷺ عن أحب الناس إليه وأقربهم منه مجلساً، فعد منهم «إماماً عادلاً».

وإذا كان الشرع الحكيم يفرض على الإمام العدل بين الرعية، فإنه في مقابل ذلك فرض على الرعية الطاعة، والتقيد بالنظام، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ياأيها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.(11)

وطاعة الإمام بحسب النظرية السياسية في الإسلام تقارن طاعة الرسول، وطاعة الرسولﷺ بدورها مقارنة لطاعة الله، ولهذا فالخروج على الدولة إذا كان الحاكم قائماً بما أمر الله هو حرب لله ورسوله كما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز.

هذا مجمل ما يتعلق بالإمامة العظمى، التي لا تخفى أهميتها الشرعية ولحاجة الناس إليها، لإقامة أمر دينهم ودنياهم.

النقطة الثانية: الشورى في النظام الإسلامي:

1 - تعتبر الشورى عنصراً هاما في تكوين السلطة في النظام الإسلامي، فهي أساس الحكم السليم ودعامة أولى من دعائم الحكم الإسلامي. وقد اتفق الفقهاء على أن الحكم الإسلامي يقوم على ثلاث دعائم:

- الأولى: الشورى فيما يجب المشورة فيه من شؤون الأمة العامة.

- والثانية: العدل من الحاكم الأعلى الذي هو الإمام، ومن الولاة والعمال الذين يمثلونه.

- والثالثة: الاستعانة بالأقوياء الأمناء فيما يجب أن يستعين به الحاكم الأعلى.

فها نحن نرى أن أول دعامة من دعائم الحكم - هي مقصدنا هنا - وهي الشورى، وهي في الواقع من أعمال السلطة لأنها مساهمة في الحكم، ومشاركة في تكوين التصرفات العامة، وتقتضي الاتصال الدائم المستمر بالإمام.

2 - والهيئة الاستشارية للإمام، تتكون أساسا من كبار العلماء الذين هم أهل القوة الشعبية، وتتكون كذلك من الوزراء الذين يرجع إليهم أمر تنفيذ سياسة الإمام.

وأهل الشورى يختلفون في طبيعة صفتهم وعملهم عن أهل البيعة من عدة وجوه. منها:

أن الشورى يتطلبها الإمام، والبيعة تعرض من جانب الأمة.

وأهل الشورى لهم عمل دائم وشغل مستمر مع الإمام، وأما أهل البيعة فعملهم مرة واحدة قبل الحكم يؤدونه، ثم ينتهي.

والبيعة كما سبق عقد يتكون من إيجاب وقبول، وأهل البيعة أحد طرفي العقد.

والشورى ليست عقداً فهي مرحلة لإصدار قرار معين، فصفة أهل البيعة تختلف عن صفة أهل الشورى، كما لا يخفى.

3 - والشورى كدعامة أساسية من دعائم الحكم لم تعرفها الإنسانية قبل الإسلام - سوى الفلاسفة الخياليين - وقد أكد عليها القران الكريم تأكيداً شديداً، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾(12) وقال تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾(13) بل إن القران الكريم خصص سورة باسم «الشورى» وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة العظيمة للشورى في الإسلام.

والجدير بالذكر أن الآية القرآنية الثانية من الآيتين المذكورتين انفا، أقوى في دلالتها على الشورى، والدعوة إلى اعتمادها واستخدامها من الآية الأولى، لأن الآية الثانية تفيد أمراً إلى النبيﷺ على حين أن الآية الأولى تفيد وصفاً من أوصاف المؤمنين، فالآية الثانية دعوة صريحة إلى الشورى على حين أن الآية الأولى هي عبارة عن تقرير ووصف لحالة المؤمنين.

ومهما يكن من أمر فإنه يبدو واضحاً مدى أهمية مبدأ الشورى، والمشاركة على أساس أن الحاكم والمحكوم كل لا يتجزأ من خلال الآيتين الكريمتين، وهذا من جوهر الدمقراطية الحق السليمة التي تنص على الصلة الدائمة المتينة بين طرفي المجتمع. وعلى أن الحاكم يستمد قوته من المحكوم.

وإني أكتفي هنا بالإلحاح فقط على

مبدأ الشورى الواجبة في الإسلام، فهو كما سبق مبدأ جديد على الإنسانية في حضارتها القديمة والحديثة. إذ كل ما قد وصلت إليه الفلسفة حتى اليوم في نظام الحكم - كما قال الدكتور محمد معروف الدواليبي - أن أوجبت الحكم بالديمقراطية، وعرفتها بأنها حكم الشعب بالشعب وللشعب ولم تكن الديمقراطية في أكثر أشكالها: إلا حكم الأكثرية للأقلية «شاءت الأقلية أو لم تشأ» أو حكم الأقلية للأكثرية في الأشكال الأخرى، وهو ما تقوم عليه النظم الاشتراكية، وتدعى أيضا بالنظم الاشتراكية الديمقراطية.(14)

فها نحن نرى أنه في كلتا الحالتين تم إقصاء طائفة كبيرة أو صغيرة من الشعب عن مقام الاعتبار في الحكم، وهي «الأقلية» في النظم الديمقراطية في أشكالها الشائعة. أو «الأكثرية» في الديمقراطيات الاشتراكية.

أما إقرار مبدأ الشورى الواجبة في الإسلام فهو إلزام يأخذ رأي الجميع، أولا من غير تمييز بين الأقلية أو الأكثرية، ثم وجوب العمل بالرأي الذي ظهرت أرجحيته بعد التمحيص العقلي بين الرأيين غير أن الصعوبة في الشورى هو وضع قواعد التمحيص المرنة، وأن ذلك ليس بمستحيل على موازين العقل والمصالح التجريبية المتطورة، كما أبدع فيه علماء الفقه في الإسلام بما وضعوه من قواعد علمية للترجيح بين الآراء. ولن يكون عندئذ في الترجيح، وفقاً لهذه القواعد شجب لفريق دون فريق، وإنما هو الأخذ بما بدا أنه الأرجح من الآراء عقلاً، ومصلحة، وتجربة بعد أن وضعت آراء الجميع في مستوى واحد من الاعتبار، وأمام التمحيص من غير إهمال الرأي من الآراء.(15)

وهذا معنى شورية الحكم في الإسلام، التي ورد النص بها متضمناً أمراً صريحاً للنبيﷺ أن يشاور المسلمين في أمرهم، قال تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ وهو بالطبع لا يشاورهم فيما هو من شأن الوحي والتشريع بل في غيره، وأهم أمر المسلمين مما لا دخل للوحي فيه هو أمر الحكم، وهو موضع الشورى بينهم، لا يستبد به الحاكم. ولو كان رسولاً معصوماً، قال تعالى: ﴿لست عليهم بمصيطر﴾(16) ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾.(17)

أما ما هو شكل الشورى؟ وما هو مداها؟ فقد ترك ذلك للأمة تشكله حسبما يرى من مصلحتها في كل مكان وزمان. فالشورى في الإسلام هي أساس الملك والحكم العادل المتوازن الذي يعلو على الأنانيات، والنزوات التي قد تعصف بالاستقرار السياسي والاجتماعي للأمة.

وفائدة الحكم الشوري كما لا يخفي هو أنه بعيد عن نمط الحكم الذي يعتمد على الجبر والقوة والاستبداد بالرأي كأسلوب وحيد.

وقد صان الله تعالى نظام حكمنا في المغرب عن هذا النوع من الأنظمة المستبدة. فمنذ المولى ادريس الأكبر، والمغرب ينعم بنعمة الشورى في الحكم المستمدة من الشريعة الإسلامية الغراء، إلى وقتنا الحاضر. ويمكن أن أسوق بعض التطبيقات العملية لقضية الشورى التي مارسها ملوك الدولة العلوية العظام. واقتصاراً على ما يوافق عصرنا أقول:

إن أهم تطبيق عملي لمسألة الشورى في نظام الحكم في المغرب في العصر الحاضر يتجلى في مستويين في نظري.

- المستوى الأول: هو ما يعرف من سيرة ملوكنا وأئمتنا أنهم يستشيرون أهل الرأي والمشورة من خاصة الأمة، من علماء وسياسيين وخبراء وغيرهم.... وذلك في القضايا التي تتعلق بشؤون الحكم والسياسة التي ينهجها الإمام في أمر من الأمور.

- المستوى الثاني: توجه الإمام إلى رعيته ليستشيرها في الأمور التي تتعلق بالنظام العام للدولة، كما هو الحال في الاستشارات والاستفتاءات الدستورية التي كان مولانا الحسن الثاني نور الله ضريحه يلجأ إليها في كثير من الأحيان. وقد ثبت أن هذه الاستشارات بنوعيها كانت دائما تأتي بما يحقق المصلحة العليا للأمة.

ويبدو لي أن جلالة الملك محمد السادس قد اعتمد في حكمه الموفق أسلوباً متقدماً في الشورى الشعبية، ويظهر هذا على وجه الخصوص من خلال حديثه الصحفي لمجلة «تايم» الأمريكية في أعقاب زيارته الميمونة إلى أمريكا. حيث جاء في حديثه: أن قضية الصحراء المغربية قضية الشعب المغربي برمته. وهذا يعني أن الإمام يتصرف في قضية الصحراء على وفق الإرادة الشعبية التي أجمعت على مغربية الصحراء، وبالتالي فإن أي مساومة على وحدتنا الترابية من طرف الخصوم سيكون مآلها الفشل. وهذا أسلوب حكيم من جلالته يوافق ما كان عليه جدهﷺ في اعتباره لرأي أمته فيما يجد من أمور الدولة الإسلامية.

خاتمة:

هذا ما ظهر لي بخصوص موضوع «الإمامة والشورى» إذ الإمامة مرتبطة بالشورى ارتباطاً تاما، والعكس صحيح، وهذا من مميزات نظام الحكم في الإسلام.

وخلاصة لما سبق يمكن القول إن الحكم في يد الإمام أمانة عنده، سواء أكان ذلك عن رضى الناس به واختيارهم له وتسليمهم إياه النظر لهم في شؤونهم وأمورهم، أم كان ذلك بما مكن الله في الأرض، وما أفاء عليه من ملك وسلطان، فهو في كلا الحالين أمين على ما اجتمع له من سلطان وقوة.

ومن خلال ما تقدم أيضا يتضح لنا بعضاً من دستور الإسلام ولمحات من مقرراته التي أراد أن يجعلها عهداً وميثاقاً يعاهد به الحاكم ويواثقه عليه ثم يحاسبه محاسبة المقصرين إن قصر ويجزيه جزاء المحسنين إن أحسن.

أسأل الله تعالى أن يحسن إلى إمامنا الهمام. بما أخلص لوطنه وشعبه، وأحسن إلى رعيته، وأن يسلك به سبل الهداية والرشاد ويشد أزره لصالح العباد، ويقر عينه بأخيه الرشيد، وبسائر أفراد أسرته الشريفة.

وأن يرحم برحمته الواسعة فقيد العروبة والإسلام مولانا الحسن الثاني، أجزه اللهم عن وطنه وشعبه أحسن الجزاء بما أحسن إلى شعبه، وترك له الخلف الصالح المصلح. والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

1) سورة آل عمران، آية: 159.
2) سورة البقرة، آية: 30.
3) سورة ص، آية: 26.
4) سورة آل عمران، آية: 33.
5) سورة آل عمران، آية: 26.
6) سورة يوسف، آية: 101.
7) ينظر تفصيل هذه المسألة، سيرة ابن هشام، 4/339. والفصل لابن حزم، 4/97.
8) وهو سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه.
9) سورة الفتح، آية: 10.
10) سورة النساء، آية: 58.
11) سورة النساء، آية: 59.
12) سورة الشورى، آية: 38.
13) سورة آل عمران، آية: 159.
14-15) الدكتور معروف الدواليبي، الدولة والسلطة في الإسلام، 51/52.
16) سورة الغاشية، آية: 22.
17) سورة ق، آية: 45 ❑

جريدة ميثاق الرابطة تحتجب عن الصدور في شهر غشت

بمناسبة العطلة الصيفية تعلن جريدة ميثاق الرابطة أنها ستحتجب عن الصدور طيلة شهر غشت وهي بالمناسبة تتقدم بشكرها الخالص لكتابها الأفاضل ومستشركيها الأعزاء وقرائها المحترمين متمنية للجميع دوام الصحة والسعادة.

آفاق بشرى ومعالم تترا في سماء أول ذكرى

الاستاذ:
محمد الحبيب
الناصري الشرقاوي

□ مما جاء في فضل المغرب وتفضيله، واستمرار عناية الله به، وخلود عزته: ما رواه الفقيه الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل الشيباني، عن المؤيد ابن عبد الله الطوسي، عن الإمام كمال الدين محمد بن أحمد بن صاعد القراوي، عن ابن عبد الغافر الفارسي، عن محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودي، عن أبي إسحاق إبراهيم بن سفيان، عن أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، قال: حدثنا يحيى بن يحيى، عن هشام بن بشر الواسطي، عن داود بن أبي هند ابن أبي عثمان النهدي، عن سعد بن أبي وقاص: أن رسول الله ص قال :

«لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة».

هذه آفاق بشرى ممن لا ينطق عن الهوى، لهذا الشعب الذي اهتدى بنبراسها إلى تحديد طبيعة نظامه ومبادئه العامة، التي يرتكز عليها هذا النظام، ويجعلها معالم طريق تترا، يهتدي بها في مسيرته، انطلاقا مما وفق إليه، من إطلاق اسم: «أمير المسلمين» حينا، و«أمير المومنين» أحيانا على ملوكه، منذ أن دخل الإسلام إلى دياره..

وهذا اللقب هو لقب إسلامي جليل، له أهمية كبرى، ومغزى عميق في نفس كل مسلم، وهو لقب لخلفاء الإسلام، من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى فترات استقلال المغرب عن خلافة المشرق، حيث أطلق لقب «أمير المسلمين» على ملوك هذا الشعب، تأدبا مع الخلافة الإسلامية في الشرق..

ولما انحسر ظل الخلافة عن الشرق الإسلامي، مما أصابه من جزر بعد مد طويل، عاد المغاربة إلى إطلاق لقب: «أمير المومنين» على ملوكهم، وبقوا محتفظين بهذا اللقب، لا يبغون به بديلا إلى اليوم، كما ينص دستور البلاد في بابه الأول: على تحديد طبيعة النظام المغربي. وعلى المبادىء العامة التي يرتكز عليها هذا النظام، كما ينص في بابه الثاني: على أن الملك هو «أمير المومنين» والممثل الأسمى للأمة، وهو رمز وحدتها، وضامن تلك الوحدة واستمرارها، وذلك نظرا لكون المغرب هو الحصن الحصين للعالم الإسلامي، لأنه وضعته الأقدار في خط المواجهة مع العالم المسيحي وجها لوجه طيلة قرون عديدة، بل هو الباب المفتوح للعالمين: الإسلامي والإفريقي، على العالمين: الأوربي والأمريكي، وهذا الموقع الستراتيجي الذي اختاره الله للمغرب - حيث خلقه وأنشأه في ملتقى البحرين، وهو موقع فيه خيره وشره، وحلوه ومره - يفرض على المغاربة في كل حقبة أن يكونوا مجندين مسلحين حذرين. ولعل هذه النظرية هي التي جعلت المغرب يتمسك باستقلاله منذ أن نشأت دولته المستقلة في عهد المولى إدريس الأول.

ولم تكن تسمح له بالإنطواء تحت جناح أي سلطة خارجية كيفما كانت طبيعتها وصبغتها. بل كان يرى في عراقة تاريخه، وعصامية دوله، وأهمية الدور الذي أهله الله للقيام به في خدمة الإسلام والمسلمين، وزعامته السياسية والريادية التي سجلها التاريخ ردحا طويلا من الزمن في هذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي، ما يجعله جديرا بالحرص على الاحتفاظ بلقب: «أمير المومنين»، لملوكه الغر الميامين، ولا سيما بعد أن عادت مقاليد الأمور فيه - كما بدأت - إلى أيدي الأشراف العلويين، من آل البيت النبوي الطيبين الطاهرين..

وهكذا استمر ملوك هذه الدولة الشريفة محتفظين بهذا اللقب المنيف، أبا عن جد، وكابرا عن كابر.. كلما ثوى نجم سيد، بزغ نجم سيد، منجز فعول لما وعد به أسلافه، مكرس جهوده للوفاء بالتزامه، والقيام بمسؤوليته، وأول الإلتزامات التي وفي بها أولئك الأكابر خلفا عن سلف. الحفاظ على معالم الدين، والدفاع عن حرمات المسلمين، وصون الطابع الأصيل، لهذا البلد الأمين الأثيل، وقد اتخذ هؤلاء الملوك الأشراف من لقب: «أمير المومنين» شعار تكليف، لا سمة تشريف، فقد كرسوا كافة جهودهم لحماية البلاد من هجمات الأعداء وتحرير ثغورها من سيطرة الغزاة المستعمرين الدخلاء، فما كان منهم - منذ بداية عهدهم - إلا أن أعلنوا النفير، والتعبئة العامة بين المغاربة أجمعين، وقادوا حملات المجاهدين ضد المغيرين الطامعين، والدخلاء المستعمرين، وتصدوا لهم بالمقاومة الجهادية في الداخل، والمقاومة السياسية والديبلوماسية في الخارج، وتشجيع المقاومة الشعبية: السرية والعلنية، مما جعل الحق يعلو وينتصر، والباطل يزهق ويندثر، والاستعمار ينتحر وينحسر، في عهد أبي النهضة المغربية: محمد الخامس: المجاهد المنتصر..

وهذا نموذج من نماذج تربية ملوك المغرب لأولياء العهد، كمعالم على الطريق يهتدون بها، ويسيرون على هديها، عند تسليمهم مقاليد الملك والإمامة، نقروه في وثيقة رسمية، وأثر تربوي سياسي إسلامي، من آثار محمد الخامس محرر الأمة المغربية.

ومما جاء في تلك الوثيقة التي وصى فيها ولده الحسن الثاني رحمهما الله، حين نصبه وليا للعهد، وقلده مسؤولية الولاية: «إياك يا بني أن تحيد عن صراط الإسلام القويم، أو تتبع غير سبيل المومنين، فإنه لا عدة في الشدائد كالإيمان، ولا حلية في المحافل كالتقوى، واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وتقرب منه بالأعمال الصالحة ذراعا، يتقرب منك بتوفيقه باعا، واجعل القرآن مصباحك الذي تستضيئ به إذا ادلهمت الدياجي، واشتبكت عليك السبل، وليكن لك في رسول الله وصالحي الخلفاء أسوة حسنة - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده.

وعلى هذه الوتيرة سار باني المغرب الجديد: الحسن الثاني، أحسن الله إليه. لقد سار - قدس الله روحه - على درب أسلافه الأمجاد، في تكوين الربان الجدير بتوجيه دفة سياسة البلاد، التوجيه الذي يطمأن إليه ومعه، على مصير الأمة وإسعاد العباد، بعد إعداده إعدادا أساسيا وميدانيا على رؤوس الإشهاد، حيث أنشأه نشأة طيبة مباركة: ثقافة وسياسة وحنكة وسيرة، مما جعله يبز الأتراب والأنداد، فكان محل عناية مركزة، بفضلها أصبح مؤهلا لحمل أعباء الخلافة، وجديرا بمقام الإمامة، تأكيدا للحكمة القائلة: «الاستمرار والبقاء للأصلح» وشعار هذه الحكمة، هو سر السعادة والاستقرار، الكامنين في استمرار نظام الملك بالمغرب.

هكذا استمر تاريخ المغرب بنفس الوثيرة، في التحام صادق بين العرش والشعب، يستعرض أحداثه الناطقة، ذلك التكامل المحقق للوحدة الشاملة، والمنجز للنهضة الناجحة، والمراهن على تحقيق تنمية منشودة، في مسيرة ملحمية، بدت معالمها بارزة واضحة، على عهد الحسن الثاني: فقيد الأمة، وتوئي أكلها - بحول الله - في عهد الملك الشاب: محمد السادس، ملجأ الفقراء، ومستقر العطف والحنان والطمأنينة، فمنذ اعتلائه عرش أسلافه، وهو يتفقد أحوال شعبه، شاعرا بمسؤوليته، مدركا ثقل عبء أمانة الأمة التي بايعته، متمسكا بمضمون خطاب والده التاريخي الذي ألقاه في إحدى لقاءاته، في مؤتمر نيروبي الثاني - وكان أبرز أقطابه - ومما جاء في خطابه، وهو يرفع معتزا علم المغرب بيمينه: «إني مسؤول عن حماية هذا العلم، لأني أمثل المغاربة كخادم، لا كملك يسودهم، بل هم يسودونني».

وإن تمسك العاهل الشاب، والتزامه بمضمون خطاب والده، جعله ويجعله كثير التجوال في فجر عهده، ضمن مسيرات تفقدية حضارية، بداخل المغرب وخارجه، وشماله وجنوبه، وشرقه وغربه، في سلسلة اتصلت حلقاتها، وتتابعت فصولها، وتصنفت أهمياتها، مما جعله يتربع على عرش قلوب كل أفراد أمته: كبيرها وصغيرها، نسائها ورجالها، أغنيائها وفقرائها، وأجمعت على الاستبشار به خيرا، حسبما لمسته فيه من اهتمام بالفقراء وذوي العاهات: دفئا وحلما وكرما ومشاركة لهم في أصعب الملمات، وأحلك المدلهمات وفق شريعة الإسلام السمحة، وطبقا لما جاء في مبادئها من حكم وأحكام معلومات...

وها نحن نحتفل بأول ذكرى في عهده نستقبلها، وأعز ذكرى وطنية نعتبرها: ذكرى جلوسه على عرش أسلافه، بعد سنة خلت من تاريخ بيعته: كعاهل للأمة وحبيبها، لنتفكر ونتدبر فيم نحن من ذكراها؟ وماذا أنجز هذه السنة، وماذا خطط خلالهما؟ ونقيم الدليل والبرهان على مدى تفقده البلاد، والسهر على مصالحها...

وإننا - وأيم الله - إذا أردنا أن نعطي للحقيقة حقها، وأن نستعرض منجزات هذا الملك الشاب خلال سنة على قصرها، ليطول بنا المقام، ويعجز القلم واللسان عن وصفها، أو حصرها، لكون ما أنجز وحقق يفوق حجمها، ويرجح وزنها، لقد حقق للأمة أضخم وأعظم منجزات في أقصر زمن وأقل مدة، إنها الكرامات من عند الله الذي حققها، وتجليات معجزة رسول الله ص، الذي أخبر بها، وهذا سر من أسرار التجاوب الروحي بين العاهل المتواضع الشاب، وشعبه الذي أحبه وأخلص له بغير حساب. إن هذا الحب المتبادل والإخلاص فيه، ليهتدي بمعالمه إلى سواء السبيل، ويحفزنا - رعية وراعيا - إلى العمل الجبار، والإخلاص فيه، وسيبقى أثره نبراسا يستضاء به، ومصباحا ينير الطريق للأجيال عبر الملوين أمد الدهر.

هذا هو مغزى الذكرى: ذكرى عيد العرش المغربي. وفي المغزى تذكرة، وأسوة، وموعظة.

تذكرة: لأنها تذكرنا بأبطالنا وعظمائنا. والخالدين فينا، فنتحفز إلى العمل مخلصين، وتذكي في نفوسنا جذوة الأمل متفائلين، وعلى الانتاج مقبلين جادين، تأسيا بأسلافنا الصالحين.

وأسوة: لأنها تغرينا، بل تدفعنا إلى الاقتداء بأولئك الأسلاف الطامحين، الذين آلوا على أنفسهم أن يشقوا الطريق للأخلاف المتعاقبين، أجيالا تلو أجيال مخططين لهم المنهجية المثالية لخوض ميدان الحياة قادرين، واقتحام معركة الإصلاح مخلصين، وولوج غمرات الحياة في نطاقها الأوسع مسلحين مهيئين.

وموعظة: لأنها يتعظ بها الخلف في حياته وسلوكه، آخذا العبرة من صالح سلفه، فيسير على نهجه ودربه، محققا ما حققه، أو يزيد عليه..

وإذا نحن ركزنا على استخلاص مضامين هذه الأهداف الثلاثة في احتفالنا بأول ذكرى، نكون قد حققنا الغاية المنشودة من هذا الاحتفال. ذلك: أن لحلجات التاريخ واحات يقف عندها الأحياء من أبناء البشر، فيجدون في استخلاص أهدافهم من الحياة ما يفيدهم في حياتهم، مما تشتهيه أنفسهم وتلذ أفكارهم من طريف الذكريات وتليدها، وهذه الذكريات تقاس - كما وكيفا - بمقاييس مصادرها. وتوزن بموازين أهميتها..

ومن أثرى تاريخ الشعوب وأغناها إنشاء لتلك الواحات الفيحاء: الشعب المغربي المغوار، صانع الأمجاد، وسليل الأشاوس الأحرار، الذين قهروا الطامعين وبددوا جحافل الاستعمار، فكانت مواكبهم هداة، وإرشاداتهم حكما متماسكة الحلقات وجبهات حدوبهم شاسعة الاتجاهات، وهجماتهم باهرة الانتصارات..

هذا ما سجله التاريخ في أعظم تآليفه، وأصح مراجعه، وأصدق مذكراته، والسر في كل هذا يكمن في تعلق أخلاق هذا الشعب بصالح أسلافه، تعلقا يذكي روح الوطنية الصادقة في قلوب ناشئته، ويثري مشاعر الحب والتضحية في نفوس أبنائه، ويصقل مدارك أولياء أمره، حتى لا يبقى هناك بصيص من أمل لأعدائه في السيطرة عليه، أو الطمع فيه. ومن هنا نعلم: أن نضج الشعوب ووعيها، يتجلى في حبها وتقديرها لعظمائها، واعترافها بالجميل لما قدمه أولئك العظماء الأطواد، من بناء صروح المجد، وصياصي العزة لشعوبهم وأممهم، وإنشاء جنات في حلجات التاريخ، تجوسها الاخلاف في غيابات الأحقاب، وتتوقف - حينا بعد حين - وقفات الفاحص المتأمل، آخذة العبرة من جدية وصلاح الأجداد، ناقلة الأسوة الحسنة إلى نفوس الأحفاد..

وإذا كان من الواجب على المرء أن يحدث بنعم الله وفضله فيشكر - مستزيدا منها - فواجب علينا أن نشكر فضل الله ونعمه علينا، حيث حبانا بملك شاب، مؤمن رحيم، متواضع حليم، إنه محمد السادس الذي وهبه الله من القبول والحكمة ما جعله يتربع على عرش القلوب، فطفق بعبقريته الفذة - ولأول وهلة - يخوض الميدان العملي لتصميم وبناء هياكل اقتصادية وثقافية واجتماعية وعمرانية، تتناسب وتطلعات المغرب الجديد، وهي مجهودات ضخمة، تنوء بالعصبة أولي القوة، لا يقوى عليها إلا من وهبه الله قدرة خارقة على الاحتمال والصبر والمثابرة..

وانطلقت قاطرة العمل - باسم الله مجراها ومرساها - في عزم صادق لإنجاز ما خطط من برامج هادفة إلى تطوير المغرب تطويرا يواكب نموه الديموغرافي، وتطوره الحضاري في الميدان الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعمراني، مع الاحتفاظ بأصالته المغربية العربية المتميزة، المطبوعة بطابع الشريعة الإسلامية السمحة..

ومنذ أن قلد الله عاهلنا الشاب محمدا السادس مقاليد هذه الأمة، وهو يكد وينصب من أجل إسعادها، ورفعها عبر مدارج العزة، إلى قمة الكرامة وأوج الطمأنينة، في إطار حرية التعبير، وإقرار الحقوق الإنسانية، ورفع مستوى الحياة الاجتماعية، وليس في قاموس سياسة هذا الملك الحاني، الحليم الرباني، ما يحول بينه وبين شعبه، بكل طبقاته وشرائحه، أفراده وجماعاته: علمائه وأحزابه وهيآته، يحيا بحياة أمته، ويسعد بإسعاده للفقراء وذوي العاهات من شعبه، حتى سارت الركبان بتواضعه، وتغنت الحداة بصيته وحلمه.

فالشعب المغربي، وهو يحتفل بأول ذكرى لجلوس جلالته على عرش أسلافه، فإنما يحتفل بالعهد الذي لا يمكث، والوفاء الذي لا ينقض، والولاء الذي لا ينفصم، والاستبشار الذي لا يبرح، والاعتزاز الذي لا ينضب له معين.

وإن شعبنا كشعب المغرب، يومن بأن مجد ملكه الشاب، من مجد شعبه المهاب، لجدير بتاريخه في فضائه الرحب. وخليق بتاريخه في مستقبله الوضاء، وفي حاضره المشرق العذب..

بارك الله في عمر سيدنا، وألهمه وإيانا توفيقه ورضاه، وشكر نعمه علينا، وزادنا منها كما وعدنا: «لئن شكرتم لأزيدنكم» اللهم ألهمنا شكر نعمك وزدنا منها..

فهنيئا لمولانا بأول عيد في أول ذكرى، وأدام الله علينا جميعا - راع ورعايا - فرحة كل عيد وذكرى، تحفظنا عناية الله، وتتحقق به البشرى، وتحرسه عين الله وعنايته الكبرى، ليبقى ذخرا وملاذا لدولته المغربية العظمى. يصون مجدها، ويرعى نهضتها، ويقود خطواتها على درب تطورها وازدهارها..

وأقر الله عين سيدنا بصنوه المولى الرشيد سمي صالح أسلافنا، وكل أفراد أسرته وولاته وشعبه وكافة أمتنا، وقوى أسرتنا الواصلة بين ملكنا وشعبنا، ورحم الحسن الثاني باني نهضتنا، وموحد بلادنا، وفقيد أمتنا، الذي جمع فأوعى: سياسة وحنكة وثقافة وعلما وحلما وتربية لخلفه الذي ولاه الله بعده أمرنا، ورحم والده محمدا الخامس الذي ضحى وجاهد وأبلى البلاء الحسن من أجل تحريرنا..

وبارك اللهم لنا في ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وبارك لنا في دنيانا التي فيها معاشنا، وبارك لنا في آخرتنا التي إليها معادنا. وثبتنا، وثقل موازيننا، وحقق إيماننا، وارفع درجاتنا، وتقبل صالح أعمالنا، ومكن من قلوبنا الاستمساك بكتاب ربنا، وسنة نبينا، فما ضل من استمسك بهما، ولا تاه من استنار بنورهما، وسار على درب هديهما: «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز». صدق الله العظيم.□

نظرية الحكم في الفكر السياسي الإسلامي

الأستاذ :
الحسين العمريس

تقديم :

إن الفكر السياسي عند فقهاء الإسلام يكشف لنا في عمقه عن مشروع سياسي متكامل، سخر له الفقهاء كل ثقافتهم الموسوعية، وكل الأعمال التي قاموا بها والوظائف التي شغلوها من أجل خدمة ذلك المشروع، والتي يمكن تقسيم مضمونه إلى ثلاثة أمور:

1 – تقويم خاص للواقع السياسي الذي عاصروه والذي تمثل بين قوة الخلافة وضعفها، فقوتها تتجلى في التزامها بتعاليم الدين وتطبيقها لمبادىء العدالة والمساواة وحفظ الحقوق وصون المحارم والحفاظ على كيان الأمة والذود عن حدودها...

وضعفها يتجلى في الحضور الأجنبي الذي يمسك بزمام الأمور ولقد أفقد هذا الحضور الشرعية التي تقوم عليها الخلافة، فكان المشروع محاولة لإنقاذ الخلافة باعتبارها من حيث هي مؤسسة شرعية دينية وسياسية معا.

2 – التمثل للتاريخ الإسلامي الذي تميز به فقهاء الإسلام عن غيرهم من المفكرين، لقد كان فقهاؤنا يقرأون تاريخ الإسلام قراءة مفكرين سياسيين يهمهم بالدرجة الأولى أمر الحاضر السياسي الذي يعيشون فيه، والذي يقوم دورهم كفقهاء في تشريع أحكام عملية له.

3 – حلول ضمنية من أجل الحفاظ على مؤسسة الخليفة باعتبارها: خلافة للنبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به. من جهة، ومن جهة أخرى تغيير الواقع السياسي حتى يساير الظروف والأحوال المعاصرة.

وسأقسم هذا البحث إن شاء الله تعالى إلى مسألتين ارتبطتا بشكل وثيق بنظرية الحكم في الفكر السياسي عند فقهاء الإسلام.

الأولى :

فيما يخص هذه المسألة، لقد أجمع فقهاء الأمة على أن المجتمع السياسي المسلم لا يتصور بغير سلطة حاكمة تنظمه، وتضع القواعد له، وأن أمر الدين لا يستقيم إلا باستقامة أمور الدنيا: إن الدين يتطلب إقامة الشعائر، وإقامة الحدود، وإجراء المعاملات وفق أحكام الشريعة، وحماية البلاد من هجوم الأعداء وهذا كله لا يتأتى إلا بسلطان مطاع يتولى تنفيذ أوامر الله في العباد والبلاد، على اعتبار أن الاجتماع الإنساني ضروري، وأن هذا الاجتماع نفسه يستلزم قيام حاكم يفصل في المنازعات بين الناس أثناء اجتماعهم وتعاونهم، وفي هذا يقول الفقيه الماوردي: «إن الله جلت قدرته ندب للأمة زعيما خلف به النبوة وحاط به الملة، وفوض إليه السياسة ليصدر التدبير عن دين مشروع وتجتمع الكلمة على رأي متبوع، فكانت الامامة أصلا عليه استقرت قواعد الملة، وانتظمت به مصالح الأمة، حتى استثبتت بها الأمور العامة، وصدرت عنها الولايات الخاصة، ولولا الولاة لكان الناس فوضى مهملين، وهمجا مضاعين...(1)

ويقول أيضا مؤكدا على ضرورة وجود سلطة حاكمة مطاعة: «أعلم أن ما به تصلح الدنيا، حتى تصير أحوالها منتظمة وأمورها ملتئمة ستة أشياء: «وهي دين متبع، وسلطان قاهر وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فاسح»...

«والسلطان القاهر تتألف برهبته الأهواء المختلفة، وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقة، وتنكف بسطوته الأيدي المتغالبة، وتنقمع من خوفه النفوس المتعادية، لأنه في طباع الناس من حب المغالبة والمنافسة على ما اثروه، والقهر لمن عانده، ما لا ينفكون عنه إلا بمانع قوي ورادع ملي...».(2)

وفي هذا المنحى يقول الإمام الغزالي: «إن الدنيا والأمن على النفس والأموال لا يتم إلا بسلطان مطاع... وعلى الجملة لا يتمارى العاقل في أن الخلق على اختلاف طبقاتهم وما هو عليه شتاتهم لهلكوا من عند اخرهم...

وهذا داء لا علاج له إلا بسلطان قاهر مطاع يجمع شتات الأراء، فبان أن السلطان ضروري في نظام الدنيا».(3)

ويشرح ابن تيمية هذه الفكرة في مقدمة كتابه الحسبة فيقول: «وكل بني ادم لا تتم مصلحتهم لا في الدين ولا في الاخرة، إلا بالاجتماع والتناصر، فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: «الإنسان مدني بالطبع» فإذا جمعوا فلابد لهم من أمور يفعلونها، يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبوها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين لامر بتلك المقاصد، والناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لابد لهم من طاعة امرناه».(4)

إن هذه النصوص وغيرها تؤكد على أن الخليفة في النظام الإسلامي والذي لا يمكن إلا أن يكون واحدا، هو الضامن لاستقرار البلاد والقادر على جمع قلوب العباد، وعلى الحفاظ على كيان الأمة، واستمرار وجودها وتقدمها.

المسألة الثانية: مصدر سلطة الإمام: العقد والبيعة

من خلال تعريف بعض المفكرين المسلمين للامامة نستطيع أن نتصور مصدر سلطة الإمام أو الخليفة: يقول الفقيه الماوردي: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به».(5) ويقول ابن خلدون: «وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته».(6)

نستخلص من هذين النصين ما يلي:

1 – أن الخليفة هو خليفة النبيﷺ في تولي أمور الأمة من خلال وظيفتين مهمتين وهما حراسة الدنيا وسياسة الدنيا به، فبهما يتحقق قيام الناس بالقسط الذي جعله الله غاية لإرسال مناهجه وشرعاته إلى البشر. فأما حراسة الدين فتتجلى في مظهرين اثنين:

أ – حفظ الدين على ما هو عليه، وهذا يمنع البدعة والتغيير والتبديل في نصوصه وقواعده وأصوله ومقاصده.

ب – تنفيذ الدين أو الشرع أي وضعه موضع التنفيذ في الحياة على صعيد الواقع. وأما سياسة الدنيا بالدين فتتجلى في إدارة شؤون الحياة وفقا لقواعد الاجتهاد السليم، فهذه هي السياسة الشرعية لأمور الدنيا بالدين، ويدخل في هذا إقامة العدل ومنع الظلم في كل جزئية في الحياة، ويتحقق العدل بإعطاء كل ذي حق حقه، وعدم ظلمه شيئا.

2 – أن الامامة عقد ومبايعة، أما طبيعة هذا العقد فهو كما يقول الماوردي: «عقد مراضاة واختيار لا يدخله إكراه ولا إجبار».

وطرفا هذا العقد هما: الخليفة والأمة، الخليفة يلتزم بحراسة الدين وسياسة الدنيا، والأمة تلتزم له مقابل ذلك بطاعته ومساعدته في مهامه.

وليس هذا العقد عقدا نظريا فحسب، بل هو عقد عملي يتم بالبيعة قياسا على ما يتم في عقود البيع والشراء، يقول ابن خلدون: «اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة، لأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه، وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم تأكيدا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصافحة بالأيدي، وهذا مدلولها في اللغة، ومعهود الشرع، وهو المراد في الحديث في بيعة النبي ليلة العقبة، وعند الشجرة، وحيثما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفاء، ومنه أيمان البيعة، وكان الخلفاء يستحلفون على العهد».(7)

وفي هذا الاتجاه جاءت أحاديث نبوية شريفة منها:

«ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة فؤاده فليطعه ما استطاع، فإن جاء اخر ينازعه فاضربوا عنق الاخر».(8)

ومنها : «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».(9)

وبما أن نصب الإمام فرض كفاية وليس فرض عين، فإن البيعة لا تلزم جميع أفراد الأمة، بل يكفي أن يقوم بها بعضهم ممن هم أحق بتمثيلها دينيا وسياسيا وهؤلاء الذين ينوبون عن الأمة في عقد البيعة يسمون اصطلاحا: «أهل الحل والعقد» أو «أهل الاختيار».

يبقى في الأخير أن أقول أن نظرية الحكم في الإسلام كما صاغها الفقهاء المتكلمون كانت في الحقيقة تقنينا لواقع مضى، هو واقع عصر الخلفاء الراشدين، لقد اتخذوا هذا العصر عصر الخلفاء، نموذجا لما ينبغي أن يكون رغم اختلاف الظروف والأحوال.

الهوامش

1) الأحكام السلطانية ص: 5.
2) منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ص: 224.
3) الاقتصاد في الاعتقاد ص: 96.
4) كتاب الحسبة في الإسلام ص: 4.
5) الأحكام السلطانية ص: 7.
6) المقدمة ص: 143 فصل اختلاف الأمة في حكم هذا المذهب وشروطه.
7) المقدمة ص: 157 فصل في معنى البيعة.
8) رواه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الأول فالأول، وأيضا.
رواه الإمام النسائي في سننه، كتاب البيعة، باب ذكر ما على من بايع الإمام.
9) رواه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ❑

عيد عرش كريم في ظل القيادة السامية لأمير المؤمنين الملك محمد السادس وإشاراته

الدكتور: إدريس خليفة

رئيس المجلس العلمي الإقليمي
وعميد كلية أصول الدين بتطوان

❐ عيد العرش بالمغرب موعد للأمة المغربية العريقة المؤمنة التي جاهدت لإعلاء كلمة الله بقيادة ملوك الدولة العلوية الذين بذلوا الغالي والنفيس للدفاع عن الدين وحدود الوطن ورفع مستوى بنيه وحماية السيادة الوطنية، يتمثل في الإعراب عن الولاء والمحبة والتشبث بالعرش والالتفاف حول الملك المبايع بيعة شرعية على مقتضى الكتاب والسنة والمعروف من الطاعة والنصيحة.

والشعب المغربي يفتخر بهذه الوشائج الروحية التي تواصلت عبر الزمن منذ عهد السلطان مولاي رشيد مؤسس هذه الدولة الشريفة المنيفة إلى عهد مجدد أمجادها ومؤكد عقودها ومواثيقها أمير المؤمنين وسبط النبي الأمين مفخرة الشباب الملك محمد السادس الذي ورث الملك عن آباء كرام كانوا مثال الوفاء وعنوان الصفاء والذكاء من بيت آل النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فهم في المغرب نجوم مشرقة وبدور متألقة، يسجل التاريخ أعمالا لهم جليلة لم تسجل لغيرهم في مكافحة الاستعمار ومحاربة الفقر والتخلف والدعوة إلى جمع الكلمة والاعتصام بحبل الله المتين والتعاون مع إخوانهم ملوك الدول العربية والإسلامية وجميع المسلمين لتحقيق النصر لهذه الأمة والدفاع عن حقوقها ومحاربة عدوها.

وحسبنا من هذا التاريخ عهد الملك محمد الخامس - طيب الله ثراه - الذي حقق للمغرب استقلاله وضحى بعرشه من أجل وطنه وشعبه حتى استرجع المغرب حقوقه الضائعة وتخلص من الاستعمار الأجنبي البغيض وعهد أمير المؤمنين الراحل - رحمه الله - الملك الحسن الثاني الذي حمى الحدود واسترجع الصحراء وبنى السدود ومعاهد العلم وطبع المصاحف وترك تراثا علميا حافلا من السياسة الرشيدة والأفكار السديدة والملاحظات الحصيفة، كما ترك ذكرا حسنا عطرا، تلهج به الألسن وتسطره أقلام الكتاب والمؤرخين والمفكرين.

وهذا عهد أمير المؤمنين الملك محمد السادس يتميز بأعمال هذا الملك الحكيم الذي ورث عن آبائه مجدا أثيلا وعزا شامخا وطبائع ملوكية من علو الهمة وقوة الإرادة، وحب الإنصاف والإحسان والذي اشتغل بالعلم والنظر والتجربة كولي للعهد حتى حصل على الدرجة العلمية الرفيعة التي شرفها بنبوغه، وميزها بمراتب جده واجتهاده، وكل ذلك تجلى لشعبه الوفي الذي ابتهج بمقدم عهده، وأعلن عن بكرة أبيه حبه له وإعجابه به، وتقديره لجهوده وأعماله، وأسلوبه في الحكم الذي هو بحق عهد جديد كما يتجلى هذا في إشارات جلالته القوية الوافرة التي تدل عليها أعماله وأقواله.

إن هذه الإشارات تشمل شؤون الدين وقضايا التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافة ورهانات العولمة وحقوق الإنسان وشؤون البيئة والمفهوم الجديد للسلطة والعدالة وغايات الأمن الروحي والثقافي واختيارات التربية والتكوين والعناية بالضعفاء والمحرومين ورعايتهم، والوحدة الترابية للمملكة، وحقوق الشعب الفلسطيني، والتعاون الاقتصادي بين البلاد العربية والوحدة المغاربية.

وإليك أقباسا من هذه الإشارات الكريمة من كلام جلالته:

1 - يقول جلالته: «إن العدالة - كما لا يخفى - هي الضامن الأكبر للأمن والاستقرار والتلاحم الذي تكون به المواطنة الحق، وهي في نفس الوقت مؤثر فاعل في تخليق المجتمع وإشاعة الطمأنينة بين أفراده وإتاحة فرص التطور الاقتصادي والنمو الاجتماعي وفتح الباب لحياة ديموقراطية صحيحة تمكن من تحقيق ما نصبو إليه من آمال».

- من خطاب لجلالته بمناسبة افتتاح أشغال المجلس الأعلى للقضاء دجنبر 1999.

2 - ويقول جلالته: «نتوخى أن نجسد تكريم المواطن المغربي بتمتيعه بكامل حقوقه المشروعة، وفي مقدمتها حقه في التعليم، المستمد من مرجعية ديننا الإسلامي الحنيف الذي كان أول محكم تنزيله الأمر بالقراءة، ومن دستور مملكتنا الضامن الحق في المساواة والتربية».

من رسالة لجلالته إلى المؤتمر الوطني للعصبة المغربية للتربية الأساسية ومحاربة الأمية / مارس 2000.

3 - ويقول جلالته: «إن انشغالنا بقضايانا الوطنية سينطلق من المرتكزات التي أرسى دعائمها والدنا المنعم والتي أقامها على التوجه العربي الإسلامي في عنايته بمختلف مشاكل أشقائنا العرب وتجاوب مع همومهم وما نرمي له جميعا من مصالحة والتئام وتعاون في تجاوز لسلبيات الواقع ونظر بعيد إلى المستقبل على أساس من تاريخنا الحافل المشترك ومن مقوماتنا الحضارية والثقافية ومن القيم التي يزخر بها ديننا الحنيف في وسيطه واعتداله، وفي سماحته وانفتاحه، ودعوته الدائمة إلى السلم والتعايش والتعارف وحفظ الحقوق التي كرم الله بها الإنسان والتي أقرتها المواثيق الدولية».

جمل من أول خطاب للعرش / يوليوز 1999.

وقد قابل الشعب المغربي كل هذه الإشارات وغيرها بحماس كبير، وخاصة عندما زار جلالته مختلف الأقاليم ومن بينها الأقاليم الشمالية حيث كان الشعب يقابل إشاراته ورحلاته بترحاب كبير وهتافات من أعماق القلب وفرح غامر باللقاء، لقاء القمة والقاعدة، والتاريخ العريق، والطموح الواحد، والمشاريع البناءة، والعزيمة التي لا تلين، حبا لله ورسوله، وإخلاصا للوطن وتشبثا بالعرش المغربي وشوقا لغد أفضل في ظل هذه الإشارات القوية التي ستزداد شمسها سطوعا إذ الشعب المغربي يحتفل بهذا العيد المجيد الذي يخلد الذكرى الأولى لجلوس جلالته على عرش أسلافه المنعمين، محفوفا بإخلاص شعبه في نطاق قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾، وقوله جل من قائل: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما﴾، وقوله ﷺ: ﴿الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم﴾، والتشبث بهذه المفاهيم، والارتباط بهذه المواثيق، كفيل بأن يحقق للمغرب ما يريده من عز وتقدم وازدهار وإصلاح في ظل العرش العلوي المجيد وقيادة حفيد محمد الخامس أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس - أعزه الله ونصره -❑

محمد السادس

شباب وإقدام

شعر: أحمد البقيدي

أضاءت حمانا - اليوم - شمس الفضائل ... بأنوار عيد العاهل ابن العواهل
وزانت سما الربح لوامح انجم ... ترصع في الذكرى ليالي الأصائل
وغنت لنا الدنيا جميل لحونها ... فطاب الغنا شدوا بأنس المحافل
وزفت لنا بشرى جلوس مليكنا ... فكانت لنا عرسا بكل المنازل
تجلت بها أفراح شعب متيم ... بعرش أصيل، في الفداء مناضل
بناه الملوك الأولون بعزة ... ويرعاه فينا - اليوم - أكرم عاهل
ألا إنها ذكرى تعانق شعبنا ... وترنو لعهد طافح بالجلائل
تذكرنا ذكرى الولاء لعرشنا ... بها أنجز الأحرار عهد الأوائل

* *

وها خير من صانت الخلافة يرتقي ... بناء، رافعا صرح العلا المتواصل
شباب وإقدام، وعلم وقدرة ... وفعل على الأقوال خير الدلائل
أتانا كما جاء الحبيب محمد ... يقوم بالعدل اعوجاج المعاول
يحق حقوقنا ويزهق باطلا. ... فها دولة قامت بحبك الأباطل
يرى الحق نورا والمظالم ظلمة ... وما النور للديجور نفس المعادل
يرى العدل قسطاسا مبينا يرومه ... وما الظلم إلا من سمات الأراذل

* *

فأقسم ألا يغمض الجفن طرفة ... وألا يرى عقلا حبيس المعاقل
وشد الرحال في زيارة شعبه ... من الريف للصحراء لأقصى القبائل
يسائل عن أحوال كل رعية ... ويدرأ عنها عاتيات النوازل
فإن مسها قحط تداركه قحطها ... وفجر في البيداء عذب المناهل
وإن شاقها شوق للقيا حبيبها ... مشى نحوها سعيا بلوعة واصل
يصافح أيد بالمحبة - لوحت ... ويخمد نار الشوق عبر التواصل
يعانق ذا الشكوى ويحنو لحاله ... يقبل صبيانا ويصغي لسائل
ويزرع خيرا حيثما حل زائرا ... فيؤتي - بإذن الله - أكلا لأكل
وإن قال، بالفعل يجسد قوله ... فما كان يوما قائلا غير فاعل
ولا فاعلا فعلا بدون توكل ... ولا قائلا قولا بمحض التواكل
فمنذ اعتلى العرش المجيد خليفة ... وركب العلا ساع بروح التفاؤل
يصحح أوضاع اليتيم وذي الطوى ... ويدعو إلى الإحسان دعوة عائل
ولا غرو فالإحسان ديدن ملكه ... يعامل بالحسنى ورأفة كافل
وما حملة الإطعام إلا وسيلة ... تلتها لمحو الفقر خير الوسائل
ستبقى مثالا في التضامن يحتدى ... وشاهد إحسان لنشر التكافل

* *

ومن حزم مولانا الهمام محمد ... ثبات وعزم في علاج المشاكل
مليك له في الحكم أنصع رؤية ... ومرجع إذا ما ضاع حق بباطل
تبنى حياة حرة ذات سلطة ... مدعمة بالعدل لا بالتطاول
ويبني بلادا يستقيم رجالها ... وتحيا نساؤها حياة التكامل
ويهوى زمانا لا تكدر صفوه ... سحابة صيف أو خبال لخابل
قضى الله أن نحيا بظل مليكنا ... وألا يرى جهل - علينا - لجاهل
تربى على التقوى أميرا مبجلا ... وفاق الورى طرا بحسن الشمائل
سليل النبي المصطفى وابن من سما ... بعرش وشعب سامقات المراحل
بنى الحسن الشهم العظيم حضارة ... فكنتم لإتمام البنا خير واصل
وها أنت تدني للبلاد مكاسبا ... ولازلت - بعد - في الشهور الأوائل
توطد بالفكر المنير صداقة ... تكون لنا فخرا بكل المحافل
زيارة أمريكا تؤكد أنكم ... تعدون - حقا - من كبار الفطاحل
تباركها الأقطار غربا وبعربا ... وشخصك فيها خير آو ونازل
وها نحن نجني ثمر غرسك للحمى ... وزهر الأماني من حسنات المشاتل
ستبدي لنا الأيام فضلك ظاهرا ... ويظهر ذاك الفضل نعمة باذل
سيرقى شبابنا، وينعم شيخنا ... فما من - بحول الله - أزمة عاطل
ويحيا فقيرنا عزيزا مكرما ... وتخلق أوراش وشغل لشاغل

* *

قراراتك المثلى سبيل رخائنا ... نؤيدها - طرا - بحمل المشاعل
فسر آمنا ما دمت للحق حافظا ... فنور الهدى والحق ليس بزائل
وحولك شعب للمعالي طموحه ... يحبك حبا دون عشق مماثل
يهنىء بالعيد السعيد مليكه ... ويدعو بإنعام من الله شامل
بنصر وتأييد وجهد مؤزر ... وستر من المولى لأشرف عاهل
وصون لمولاي الرشيد وأسرة ... بها الشعب - في النعماء - أسعد رافل

أسس الحكم في الإسلام ترتكز على الشورى والعدالة

الاستاذ:
عثمان بن خضراء

إن مبدأ الشورى ومعرفة اتجاهات الرأي العام بين المسلمين يعد من أهم الأسس والدعائم التي ينبغي أن يرتكز عليها الحكم الإسلامي.

ويقول الحق سبحانه في محكم تنزيله عن الصفات الحميدة لعباده المتقين الذين اهتدوا إلى الحق، وأقاموا الصلاة، وكان أمرهم شورى بينهم:

﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ سورة الشورى.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه وهو عبد الرحمن بن صخر الدوسي عن النبي الكريمﷺ: لم يكن أحد أكثر مشاورة لأصحابه من رسول اللهﷺ.

وقد حث النبي المجتبى في كثير من أحاديثه الشريفة على تطبيق مبدأ الشورى «ما ندم من استشار ولا خاب من استخار».

وقال عليه السلام: «ما شقى قط عبد بمشورة، وما سعد باستغناء رأي».

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه لما أنزل قوله تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ قال الرسولﷺ: «أما إن الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمن استشار منهم لم يعدم رشدا، ومن تركها لم يعدم غيا».

ويؤكد الإسلام أهمية الشورى ويدعو إلى تطبيقها في كل زمان ومكان، ويعارض القول الذي لا يلازمه فعل، والرأي الذي لا يسنده تطبيق، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ياأيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ وكان النبيﷺ يستشير الصحابة الأجلاء من ذوي الرأي والفطنة، ويأخذ بما يسفر عنه رأي الأغلبية منهم. وعند إعلان الحرب على مشركي مكة الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم بغير حق، قال النبي الكريم مخاطبا الصحابة: «أشيروا علي أيها الناس» فقام سعد بن معاذ وقال مقالته البليغة: «والله لكأنك تقصدنا يارسول الله» «قال أجل» قال سعد: «فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك مناما تقربه عينك، فسر على بركة الله».

ويقول فخر الدين الرازي عن تطبيق النبي الكريم للشورى، كما أمره الله تعالى بها وعن حكمتها: «إنك - يامحمد - إذا شاورتهم في الأمر، اجتهد كل واحد منهم في استخراج الوجه الأصلح في تلك الواقعة - فتصير الأرواح متطابقة متوافقة على تحصيل أصلح الوجوه فيها، وتطابق الأرواح الظاهرة على الشيء الواحد مما يعين على حصوله، وهذا هو السر عند الاجتماع في الصلوات، وهو السر في أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد».

والنبي الكريم أرسى أهم قواعد وأسس الشورى وهو يأخذ برأي أصحابه ولو خالفوه ما لم ينزل في القران الكريم، وما لم يتعرض ذلك بأمر الدين الذي نزل من السماء.

وقد اقتدى الصحابة الأجلاء بمسلك النبي الكريم في تطبيق مبدأ الشورى والتزم الخلفاء الراشدون بالعمل وفق أحكام وشرائع الدين الحميد التي أشار إليها القران الكريم، وقد أمرنا الله تعالى بتطبيقها والاهتداء بها. وأما القضايا والمسائل التي لم يذكر القران أو السنة حكما خاصا بها، فإن الخلفاء الراشدين درجوا على عقد مجالس الشورى للنظر فيما يمكن الاستعانة به في مثل هذه المواقف.

وقد أورد ابن قيم الجوزية في إعلام الموقعين ما نصه: «عن ميمون ابن مهران قال: (كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى، فإن وجد فيه ما يقضي به، قضى به، فإن أعياه ذلك، سأل الناس: «هل علمتم أن رسول اللهﷺ قضى فيه بقضاء؟ فربما قام إليه القوم فيقولون قضى فيه بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سنها النبيﷺ جمع رؤساء الناس فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل ذلك، فإن أعياه أن يجد إجابة أو تفسيراً في الكتاب والسنة، سأل: «هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء؟» فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به، وإلا جمع علماء الناس واستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به» اهـ.

وكان عمر رضي الله عنه، يهتم اهتماماً عظيماً بتطبيق مبدأ الشورى، ويناشد أصحابه أن يصوبوا رأيه إذا أخطأ: «إني أخاف أن أخطيء فلا يردني أحد منكم تعظيماً لي» ويقول له حذيفة: «والله لو رأيناك خرجت عن الحق لرددناك إليه».

وتغمر حنايا عمر سعادة وانشراح، ويقول لحذيفة: «الحمد لله الذي جعل لي أصحاباً يقومونني إذا اعوججت».

ويقف الخليفة عمر بن الخطاب يوماً مخاطباً جمعاً من الناس، ويقول: «لا تزيدوا مهور النساء على أربعين أوقية، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال».

وعندئذ تنهض امرأة من صفوف المسلمات وتقول: «ما ذاك لك» فيسألها عمر: «ولم؟» فتجيبه: «لأن الله تعالى يقول: ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً، فلا تأخذوا منه شيئاً، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً﴾».

فيقبل عمر حجة المرأة ويقول لجموع المسلمين: «أصابت امرأة وأخطأ عمر».

وتأبى روح الإسلام وتعارض كبرياء الحكام وابتعادهم عن الرعية، ولذلك ينهى الإمام علي رضي الله عنه عن الاحتجاب وعن إقامة حائل أو حاجز بين الحاكم وبين رعيته:

«وأما بعد... فلا تطولن احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس من الأمور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب».

وكتب عمر بن الخطاب لأحد القضاة يقول: «إذا جاءك شيء في كتاب الله فاقض به، ولا يلفتنك عنه الرجال، فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول اللهﷺ فاقض بها - فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله، فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به - فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله، ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي الأمرين شئت، وإن شئت تجتهد رأيك وتقدم، فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر، ولا أرى التأخير إلا خيراً لك».

وتعتبر الشورى من المبادىء الإسلامية الإنسانية المهمة التي دعا إلى تطبيقها الدين الإسلامي الحنيف.

وهاهم الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم، كانوا إذا نزل بالمسلمين أمر، وللنبي الكريم رأي فيه، كانوا لا يترددون في سؤاله: «أهذا وحي أوحى الله به إليك، أم هو الرأي؟ فإن قال هو الوحي، خضعوا لحكمه ورضوا بأمره، ولم تكن لهم الخيرة من أمرهم، لأن الله تعالى يقول في محكم تنزيله:

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ ويخاطب نبيه: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾.

وإن أجابهم النبي الكريم بأنه الرأي، لم يترددوا في إبداء وجهة نظرهم استجابة لقوله تعالى مخاطباً النبي الرؤوف الرحيم: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ صدق الله العظيم. لقد أقام الإسلام بناءه على دعامتي: الحرية والعدالة، وبقدر ما تتوفر للمجتمع من هذين المقومين تتألق صورته في التاريخ - وهذا هو وجه السلطة في علاقتها بالمجتمع - وأي حاكم يحقق لأمته هذين المقومين فهو مسلم ونظامه إسلامي ولكل عصر أبو بكره وعمره، ولو أراد الحاكم أن يكون كذلك لكان دون أدنى استمالة - والمثل واضح لمن اتبع شريعة الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام. فالمملكة المغربية تنعم بالاطمئنان والهدوء والسلام والرخاء.

وإن من يدرس طبيعة نظام الحكم بهذه البلاد السعيدة يجد أن العرش المغربي من أول تأسيسه كان تصحيحاً للأوضاع والتزاماً بحمل مشعل رسالة الإسلام، وقد استطاع أن يقف في وجه كل الأعاصير منذ المولى إدريس الأول إلى جلالة الملك محمد السادس - وإن من يدرس طبيعة العرش المغربي وحقيقته منذ إنشائه يجد أكثر القائمين على هاته العروش والجالسين عليها كانوا نخبة أعدهم اباؤهم أحسن عدة ليكونوا جديرين بقيادة أمتهم وزعامتها، فيكونهم تكوينا إسلامياً وشعبياً ويربونهم تربية قاسية ليكونوا أهلاً لقيادة شعوبهم.

ففي حياة الملك المغربي يكون دائما محفوفا بالعلماء والحكماء ورجال الشورى، وهمته تحقيق المأثر بالعمل المتواصل لبناء التاريخ وإرساء قواعد التواصل ومناراته لخير الأجيال المغربية ولخير حضارة العرب والقيم الإسلامية التي كان المغرب دائما ركنا قويا من أركان انبعاثها وإشراقها وانتشارها.

وجلالة الملك محمد السادس، الملك الشاب، الواقعي، العملي، الحكيم يتحمل المسؤولية العظمى راضيا، مؤمنا بالله تعالى، واثقا بأن تحديث المغرب وتأهيله في عالم المنافسة والتحدي يقتضيان العزم والحزم وفهم المسؤولية على حقيقتها، في إطار الديمقراطية الحقيقية التي تعطي للحكومة والبرلمان كيانهما وسلطتهما وهيبتها - وهو حفظه الله يكد في توثيق وتعميق وتحقيق التواصل المستمر بين القمة والقاعدة - وهاهي سنة كاملة انصرمت منذ اعتلائه عرش أسلافه المنعمين بسط خلالها الأفكار السديدة، والآراء الثاقبة والاختيارات الناجعة التي سيسهر على نشرها وتطبيقها - والله من وراء القصد -.

هوامش :

إعلام الموقعين : لابن القيم الجوزية
الشورى من أسس الحكم في الإسلام :
مصطفى عوض الله بشارة
الحكم الإسلامي ونظام العصر :
عبد الصبور شاهين
نظام الحكم في الإسلام :
صادق عرجون
محمد الرسالة والرسول :
نظمي لوقا

ليس بعشك فادرجي... 5/6

غزوة الحديبية والاجتهاد السياسي في الإسلام

الاستاذ: محمد الحاج الناصر

□ قال «الأستاذ» الكاتب: «فقد تحررت فارس من طغيان المجوسية، وتحررت بلاد الرافدين من الظلام الصابئي المزدوج، ظلام الروحانيات وظلام الماديات، وتطهرت شمال إفريقيا والمغرب تحديدا، من شطح تقديس أرواح الملوك».

لسنا ندري لماذا خص المغرب، بالذات، بالذكر حين أراد أن يغمز في الملوك. لقد كانت الملكية مهيمنة على أنظمة جميع الدول والشعوب التي عرفت الحضارة وبلغت من مراحلها إلى مرحلة التنظيم السياسي، وحتى في جزيرة العرب، كانت الملكية عند الحيريين وعند اللخميين، بل وعرفت كندة بداية لنظام ملكي سجلت بعض ملامحه، حياة امرىء القيس، وكانت في شمال إفريقيا ملكيات قبل القرطاجنيين، وبعدهم ظهرت في كل مما يعرف اليوم بـ«تونس» و«الجزائر» و«المغرب». ولا نعرف كثيرا مما يوثق به من ألوان العبادات والعقائد التي كانت سائدة في أقطار شمال إفريقيا عامة أو في البعض منها قبل الإسلام، لذلك لا نستطيع أن نفهم بطريقة منهجية علمية، لماذا أفرد «الأستاذ» الكاتب ذكر تقديس أرواح الملوك دون ذكر أنواع أخرى من المعتقدات التي كانت شائعة عندئذ، إلا أن يكون حقد أسود بين جوانحه على النظام الملكي، وإذن فهلا ملك الجرأة على أن يكشف عن خبائث خبايا نفسه. أما أن يتوارى وراء تلميحات متناثرة هنا وهناك، فذلك هو الجبن الخسيس.

* * *

ثم قال «الأستاذ» الكاتب: «كل هذا ووزيرنا في الأحباس، عندئذ، كامن بإذن ربه في أصلاب الأجداد الذين لم ينتقلوا بعد من بلاد العرب لا شك، إلى الربوع المغربية العامرة، فيكون | عليه الآن، أن يدرك كيف أن ما ادعاه بالتنازلات، لو صح أنها من خاتم الأنبياء وأتباعه ومن منطلق ضعف، لكانت قريش هي التي منحت جده الأعلى تأشيرة اجتياز أكثر من بلد للوصول بأمن وأمان إلى حيث سيخرج من صلبه حفيد بعد قرون، هو اليوم وزير مسؤول عن شؤون الدين والصدقات الطوعية دون أن نقلق راحته إن نحن سألناه عما إذا كان يقتدي بجده في حرصه وغيرته على حفظ وصون الكتاب، والهدي على الصعيدين النظري والتطبيقي، أم أن الزمن قلب فعال لما يريد من يقدم إليهم حكام العالم الإسلامي المعاصرين قناطير مقنطرة من التنازلات، وفي طليعتها القبول المشاهد للاحتكام إلى غير شرع الله».

ليس عيبا - بل هو فخر عظيم - أن انتقل الحسن الداخل - رحمه الله - من «ينبع» إلى المغرب، حين اشتد القحط بالمغرب، فأهلك الزرع والبهيمة والنسل، حتى اضطر نفر من أهله إلى أن يذهب إلى «ينبع» مقر الأسرة العلوية آنئذ، يلتمس من عميدها أن يوفد معهم من أهله من يتوسلون به إلى الله - سبحانه وتعالى - ليتداركهم برحمته وينزل عليهم من غيثه ببركته وبركة جدهﷺ كما فعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين توسل بالعباس - رضي الله عنه - عقب صلاة استسقاء، وبين أن المسلمين كانوا يتوسلون برسول اللهﷺ وأنه توسل بعمه بعد أن لحق هو بالرفيق الأعلى. فإن يكن «الأستاذ» الكاتب يريد أن يغمز في مدى أصالة الأستاذ الوزير في انتمائه إلى المغرب، فهلا تذكر - إن لم يكن قاصدا فعلا - أنه يغمز في مدى أصالة جميع العلويين، وفي طليعتهم الأسرة الملكية الشريفة، وهلا أدرك أن المغرب قبل الإسلام كان أوزاعا يضرب بعضها بعضا وتخضعها القوى الوافدة من هنا وهناك، ولم يعرف الاستقرار إلا على يد السلالة النبوية الشريفة، ابتداءا من عهد إدريس الأول، بل إن تاريخه يبرهن على أنه كلما أفلتت مقاليده من أيدي العترة النبوية الشريفة، سادته الفوضى والفتن والمآسي، ولم يجد له منقذا إلا في الأيدي الشريفة. وآية ذلك بالأمس القريب، فما أعاد إليه الاستقرار والوحدة وارتفع به إلى مصاف الدول المزدهرة المطمئنة، إلا محمد الأول - رحمه الله - وسلالته إلى محمد السادس، مد الله عمره وأمده بالنصر المبين على أعدائه في الداخل والخارج.

ونحسب أن من إكرام الله للمغرب، أن كان في المسؤولين التنفيذيين من أبنائه في هذا العصر ومن أعضاد من بيده مقاليده بإذن من الله - سبحانه وتعالى -، حفيد من حفدة رسول اللهﷺ أتاه الله من العلم والبصيرة ما يفقه ما خفي ويبصر ما عمي عنه أدعياء العلم المتقنعين بالدفاع عن الإسلام، فبين طبيعة الإسلام المرنة السمحة التي تأخذ، في كل ظرف، بالوسائل الميسرة لتحقيق التمكين لشريعة الله وإعادة إقرارها وإعلاء كلمتها، بعد أن عملت أيدي الطاغوت الاستعماري على إبدالها بالشرائع الوضعية، وإذ أخذت أيدي الطاغوت العلماني على محو جميع آثارها، جاهرة - بكل وقاحة - بالإنكار لوجود مصدرين أساسيين للتشريع في المغرب، المصدر الإسلامي والمصدر الوضعي، داعية إلى إلغاء المصدر الإسلامي إذا أريد تحقيق المساواة والحرية للمرأة، والسير بالمغرب في طريق التنمية. ففي مثل هذه الأحوال، لا مناص من أحد أمرين: إما حرب معلنة تأتي على الأخضر واليابس ببحار من الدماء، ولا سبيل إلى ترجيح أن تكون عواقبها نصرا مؤزرا، وإما مناورة ومدارات وتربص وترصد بسياسة قائمة على محاولة استرداد الهيمنة الكاملة للشريعة الإسلامية، لكن تدريجيا وعلى مراحل، طبقا لما تسمح به الأوضاع العالمية والمحلية وتطوراتها، ذلك بأن العالم الذي أصبح اليوم مثل القرية الصغيرة في عصر غزو الصواريخ للفضاء وإلغاء المسافات، قد انحصرت فيه الموازين في أيدي قوى الشر، المتألبة على الإسلام من داخل الشعوب الإسلامية وخارجها، قوى الصليبية والصهيونية والعلمانية.

ومن الجنون محاولة انتهاج نفس السبيل الذي انتهجه المسلمون الأول لإقرار الشريعة الإسلامية والتمكين لها، فمحاولة كهذه مآلها القضاء على الإسلام والمسلمين في العالم قضاء مبرما، والبشرية في تطور سريع متلاحق متلاحم لا يكاد الزمن يجد مجالا للتمييز بين مراحله والأمل في إعادة إقرار الشريعة الإسلامية، والتمكين لها، معقود في هذا التطور المتسارع المتلاحم وفي ما يفرز من مؤثرات حضارية وفكرية وعقيدية تزيح الغشاوة تدريجيا عن أبصار الناس وبصائرهم، فيتبين فساد الحضارات المادية والعقائد الصليبية والصهيونية والعلمانية، كما تبينوا فعلا اليوم فساد العقائد الماركسية، فيلتمسوا لهم خلاصا، ولن يجدوه إلا في الإسلام، على حين، يكون المسلمون قد أخذوا يفرضون وجودهم اقتصاديا وحضاريا مع شيء من القوة العسكرية أيضا، نتيجة لاستفادتهم من مختلف مراحل التطورات وألوان الصراعات والمنازعات التي يفرزها تنازع البقاء بين مختلف القوى العظمى منها وغير العظمى، استفادة يسلكون فيها وبها، ما استنبط الأستاذ الوزير، بعض معالمه من صلح الحديبية، وما انطوى عليه من تنازلات قدمها المسلمون بأمر من رسول اللهﷺ صادرا فيها عن حقه في التصرف بصفته الحاكم وعن ما سماه «الأستاذ» نفسه بـ(الفطنة) ويثبتون بسلوكهم هذا وتطورهم فيه بتوسيعه وتعميقه، كلما تيسر لهم المزيد من تطويره، مدى صلاح الشريعة الإسلامية للخلود بما في طبيعتها من عناصر التجديد والاتساق مع مختلف الظروف والأحوال.

أما أن الأستاذ الوزير كان يقتدي بجده في ما استنبط من وثيقة صلح الحديبية، فلا ريب في أنه كان يقصد الاقتداء بجده، وأرجح الظن أنه قد أصاب، ونقول أرجح الظن، لأن كل ما يتصل بالتشريع الإسلامي وفهمنا له واستشرافنا لسرائره ومقاصده، لا يعدو أن يكون ظنا راجحا، والعلم اليقين عند الله - سبحانه وتعالى - العالم وحده علم اليقين بسرائر ومقاصد شريعته.

وجميل جدا أن يجهر معاصر بالإنكار لما يدعو إليه العلمانيون من عدم القبول بشرع الله، إذا كانت دعوتهم صادقة في مقصدها، خالصة لوجه الله. أما أن تكون غايتها مناوشة من يدعو إلى شريعة الله والتمكين لها بالوسائل المتاحة، فلا تعدو دعوتهم أن تكون كلمة حق أريد بها باطل، كما كانت مقولة الخوارج يوم «صفين» لا حكم إلا لله». ولقد رأينا وسجل التاريخ ما أفرزته من بلايا ورزايا وكوارث وخطوب، جنب الله المغرب محنها وفتنها.

* * *

قال «الأستاذ» الكاتب: «يكفي أن سورة مكية بأجمعها سميت باسم سورة الشورى. يقول تعالى: ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾، فيكون أمر المؤمنين كله شورى، ومن ثمة، كان طابع الشورى في الجماعة مبكرا، وكان مدلوله أوسع وأعمق من محيط الدولة وشؤون الحكم فيها، إنه طابع ذاتي للحياة الإسلامية وسمة مميزة للجماعة المختارة لقيادة البشرية، وهي من ألزم صفات القيادة. ويقول - سبحانه: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾، فتبرز أولا صورة الحاكم المقبول المحبوب الذي يدرك معنى تحمل المسؤولية وأعباء قيادة وخدمة الأمة. فلو كان المصطفى، وهو رئيس دولة ناشئة حيث لا دولة كبعض الطغاة المستبدين فظا غليظ القلب، ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر».

ثم قال:

«ثم تبرز ثانيا صورة الشورى حيث يقرر - سبحانه - هذا المبدأ في نظام الحكم حتى ومحمد رسولﷺ هو الذي يتولاه، وهو نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكا في أن الشورى مبدأ أساسي لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه. أما شكل

الشورى والوسيلة التي تتحقق بها، فهذه أمور قابلة للتحوير والتطوير وفق أوضاع الأمة وملابسات حياتها. وكل شكل وكل وسيلة تتم بها حقيقة الشورى، لا مظهرها، فهي من الإسلام».

وما من أحد يعلم - في ما نظن - غير «الأستاذ» الكاتب، حوافزه إلى هذا الانتقال المفاجيء بدون أية مقدمة أو أي تمهيد من إنكار أي تنازل من جانب رسول اللهﷺ في صلح الحديبية إلى الحديث عن الشورى، فهل يريد أن يشير من طرف خفي إلى أن رسول اللهﷺ، وهو يملي ويقر وثيقة صلح الحديبية - كان قد تخلى عن مبدأ زعم الكاتب أنه أساسي لنظام الحكم في الإسلام، لأنه لم يستشر أصحابه، ولأن عامة أصحابه - باستثناء أبي بكر الصديق، رضي الله عنه - كان في نفوسهم شيء من نصوص الوثيقة، يشتد ويضعف طبقا لتفاوت درجاتهم من الإيمان، لولا السكينة التي أنزلها الله على قلوبهم، فعادت إلى الاطمئنان لما أقرهﷺ.

مهما يكن حافزه الخفي إلى إثارة موضوع الشورى في مناوشته للأستاذ الوزير، فإنا نشكره إذا أتاح لنا المناسبة الصالحة لتنبيهه، والأغرار مثله، إلى موقع الشورى من نظام الحكم في الإسلام، ومعناها في الإسلام وحكمها في الإسلام.

استدل «الأستاذ» الكاتب في صدر كلامه عن الشورى في الإسلام بالآية: 38، من سورة الشورى، وهي قوله - سبحانه وتعالى: ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم﴾. وهذه الاية سبقت بقوله - سبحانه وتعالى - الايتان: 36 - 37 من نفس السورة: ﴿فما أوتيتم من شيء فمتع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾، ومتبعة بقوله - سبحانه وتعالى - الاية: 39 ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾.

وما من أحد يزعم أن في هذه الآيات مجتمعة أو في بعضها ما يشير من قريب أو بعيد، إلى نظام الحكم. والسورة مكية كلها عند الجمهور، وهو ما اعتمده «الأستاذ» الكاتب. والذين قالوا إن فيها آيات مدنية، لم يذكروا من هذه الآيات آيات الشورى. والقرآن المكي - وهو ما نزل قبل الهجرة - جله خاص بتثبيت العقيدة وتوجيهها الاتجاه الصحيح، وبعضه بمثابة التمهيد والمقدمات لتنظيم المجتمع الإسلامي، ومنه هذه السورة الكريمة، فالنصيب الخاص بالعقيدة منها محدود، بل اشتملت على أشياء أخرى، منها ما يبين قدم عقيدة التوحيد وقدم أصول التشريع، ومنها ما يتصل بجوانب من بيان قدرة الله وقدره وموجبات بعض تصاريفه في خلقه. ثم منها ما يمثل مشروعا في تربية الفرد وتأهيله للانتظام مع غيره لبناء المجتمع الإسلامي الذي سيمثل بعد قليل كيان الدولة الإسلامية التي هي مجتمع قبل أن تكون أرضا، وهذا التأهيل ابتدأ بلفت الانتباه إلى أن ما قد يؤتاه المرء من نصيب في الدنيا، ليس سوى متاع عارض لا يلبث أن يزول، والآخرة خير وأبقى. ثم بتوجيه النفوس المسلمة إلى التخلي عن جميع أنواع الإثم، وخاصة الكبائر والفواحش وإلى التحلي بما من شأنه إنشاء وتوثيق الروابط الاجتماعية الواشجة بين الفرد والآخرين، والتي بدونها، لن يقوم مجتمع ولن يستقيم، وهو التسامح بين المتعايشين، وخاصة من تجمعه ملة واحدة، والتغافر بين المتنازعين تغافرا يعصمهم من الغضب الذي يفرق بينهم ويزرع العداوة والبغضاء والحقد. ثم لبيان أوثق وشيجة بين الله - سبحانه وتعالى - وعبده، وهي إقامة الصلاة، وبدونها لا تكون بين الله وعبده وشيجة، في حين، أنها أيضا وسيلة فعالة لإنشاء علاقات اجتماعية بين من يقيمون الصلاة، لأن صلاة الجماعة تجمعهم خمس مرات في اليوم، ولأن الشعور بالقبلة الواحدة والطقوس الواحدة لدى كل واحد منهم، من شأنه أن يفرز شعورا بالوحدة النفسية والوجدانية. ثم إلى التشاور بينهم في ما هو من خاصة أمرهم ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾، لأن التشاور من شأنه أن يخلق ويعصم تعاملا على أساس التوافق، وتعايشا على أساس التفاهم. وكلمة «أمر»، إذا وردت في القران الكريم دون أية قرينة تصرفها إلى معنى خاص، فهي تدل على أنماط السياسة العامة والخاصة. وإضافة الأمر إلى ضمير الجمع الغائب، تعني أن الإرشاد إلى التشاور المراد به رعاية البناء الاجتماعي من عوامل التصدع والاختلاف الناتجة عن التنازع والتشاجر، إرشاد للمجتمع لا لفرد معين. وكلمة «بينهم» لها دلالة بديعة من بدائع الإعجاز البياني للقران، ألمع إليها الشيخ محمد الطاهر بنعاشور - رحمه الله - في التحرير والتنوير، ج: 25، ص: 112 - إذ قال:

وقوله: «بينهم» ظرف مستقر هو صفة لـ«شورى». والتشاور لا يكون إلا بين المتشاورين، فالوجه أن يكون هذا الظرف إيماء إلى أن الشورى لا ينبغي أن تتجاوز من يهمهم الأمر من أهل الرأي، فلا يدخل فيها من لا يهمه الأمر، وإلى أنها سر بين المتشاورين.

قال بشار:

ولا تشهد الشورى امرءا غير كاتم

وأضيف إلى ما قاله أستاذنا الجليل - رحمه الله - ملاحظة أخرى، وهي أن ضمير «هم» في قوله سبحانه وتعالى «وأمرهم» و«بينهم»، نص قاطع لا سبيل إلى تأويله أو المماراة فيه على أن التشاور يكون بين المسلمين وحدهم لا يشمل من قد يكون مواطنا لهم من غيرهم، وهذا يدمغ دمغا حازما كل ادعاء بأن هذه الاية حجة في الأمر بالشورى السياسية بين المواطنين، وأنها النص الحاسم الذي يلزم رئيس الدولة باعتماد نظام للتشاور مع رعيته لأن الرعية والمواطنة لا تقتصران - بالضرورة - على المسلمين، بل قد تشملان غيرهم من أبناء الوطن الأصليين أو ممن استقر فيه قبل الإسلام، وإن لم يكن من أبنائه الأصليين.

وما من أحد يستطيع أن يزعم بأن لضمير «هم» دلالة غير هذه، إذ ورد في قوله: ﴿استجابوا لربهم﴾ وقوله: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾، ومعاده نفس معاد ضمير «الواو» في قوله: ﴿والذين يجتنبون﴾ و﴿ويقيمون الصلاة﴾ و﴿استجابوا﴾ و﴿ينفقون﴾. وكلا الضميرين «الواو» و«هم» معاده إلى قوله - سبحانه وتعالى - في أول هذه الايات ﴿وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾، فثبت بهذا أن الشورى المنصوص عليها في هذه الآية، هي الشورى بين المؤهلين لها بما لهم من رأي وتجارب وخبرة من أبناء المجتمع الإسلامي، وقد تشمل أمورا سياسية، وقد تكون خاصة بالشؤون الاقتصادية أو الاجتماعية أو غيرها، مما يؤلف طبيعة الحياة العامة التي يتعين التوافق عليها بين أفراد المجتمع، وليس شأنها من خصائص ولي الأمر.

وبما أن الدولة الإسلامية لم تكن قد نشأت عند نزول سورة الشورى، وهي السورة: 61 في ترتيب نزول السور، في ما روى عطاء بن يسار - رحمه الله - ولا بدأت مقدماتها، فليس في الآية ما يمكن اعتباره تشريعا سياسيا للحاكم، عليه أن يلتزمه في ما هو من خاصة أمر الدولة كلها، وإنما الإرشاد الذي تتضمنه الاية الكريمة، مجاله ما يكون بين الجماعة المسلمة من التعامل الذي تشترك فيه كافة أو يشترك فيه بعض أفرادها. وإذ لم يكن لها مسؤول يتمتع بسلطة الحاكم واجتنابا لعوامل التنازع والتشاجر، أرشدها الله - سبحانه وتعالى - إلى التشاور بينها.

وجلي أن الذين يملكون القدرة على التشاور ويحسونه ويبلغون به إلى المقصد منه من التوافق والانسجام بين أفراد الجماعة، هم من سيطلق عليهم بعد حين في نظام الحكم الإسلامي، أهل الحل والعقد. وكانوا قبل نشأة الدولة الإسلامية سادة القبائل وأعيانها، ولذلك أمر رسول اللهﷺ وهو يضع اللبنة الأولى لنشأة الدولة الإسلامية في بيعة العقبة الثانية، من بايعوه من الأنصار، أن يعينوا منهم نقباء يكون التزامهم معه ملزما لجميع الأنصار.

أما قوله - سبحانه وتعالى في سورة آل عمران، الآية 159: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾، فليس فيه دليل على وجوب الشورى على ولي الأمر، خلافا لما يتشبث به بعض قدماء المفسرين والجمهرة الغالبة من المعاصرين، الذين يحاولون أن يخضعوا التشريع الإسلامي ونصوصه من الكتاب والسنة، للتجاوب والتساند مع هذه الدعوات التي يروج لها الغرب الصليبي ومن يبوقون له من المستغربين العلمانيين.

وبيان ذلك، أن هذه الاية جاءت بعد الآيتين: 157 - 158. وفيهما يقول الله، تبارك وتعالى - مخاطبا ﴿الذين تولوا يوم التقى الجمعان في أحد بعد أن بشرهم بأنهم قد عفا الله عنهم﴾ - ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾.

فالذين تولوا يوم التقى الجمعان، أغوتهم بوارق النصر، فاندفعوا يريدون المغانم، فبين الله لهم - سبحانه وتعالى - بما ابتلاهم به من الهزيمة، أن المغانم ليست هي المقصد من الجهاد، وإنما هي رزق يؤهلهم له الجهاد، إذا لم يقصدوا به إليه. أما المقصد من الجهاد، فهو إعلاء كلمة الله والتمكين لشرع الله والدعوة إلى كتاب الله والقضاء على أعداء الله أو إذلالهم.

وقد يكون من حكمة الله، سبحانه وتعالى - وهو أعلم بحكمه وأسرار قضائه وشريعته - في ابتلائهم بتلك الهزيمة، تنبيههم إلى أنهم لا ينبغي أن يتجاوزوا أدنى درجات النصح حين يستشيرهم رسول اللهﷺ ذلك لأنهم ألحفوا عليه لما استشارهم بأن يخرج إلى لقاء عدوهم، وكانﷺ أميل إلى انتظار العدو في المدينة المنورة ومحاربته من داخليها.

وصحيح أنهم تراجعوا عن إلحافهم بعد ذلك، لكن تراجعهم جاء بعد أن لبس رسول اللهﷺ لباس الحرب وتقلد بسلاحه، وما كان لنبي لبس لباس الحرب وتقلد بسلاحه، أن يضع السلاح إلا بعد أن يحارب.

ونص الآية نفسه، ليست فيه دلالة على وجوب الاستشارة على رسول اللهﷺ ولا من بعده من أولياء أمور المسلمين اقتداءا به، أو باعتبار أن ما وجب عليه يجب عليهم، ما لم تقم قرينة على أنه خاص بهﷺ مثل قيام الليل، فقد جاء الأمر مبنيا على واقع من فعل رسول اللهﷺ معهم، ومبينا أن ذلك الواقع كان بتوفيق من الله - سبحانه وتعالى - رحمة منه بهم وبه، وهو معاملتهم لهم باللين والرفق ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾، ثم كاشفا لحكمة من حكم الله - سبحانه وتعالى - في توفيقه إياه إلى أن يلين لهم، وهي أن الفظاظة والغلظة من ولي الأمر مع رعيته، نتيجتها انفضاض الرعية عنه ﴿ولو

كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾.

والإرشاد - وهو المقصود بالأمر في هذه الآية كما يدل عليه سياقها وظروفها - إلى استشارتهم، جاء بعد الإرشاد إلى العفو عنهم والاستغفار لهم. والمعفو عنه عادة وطبقا لما فطر عليه البشر قاطبة، تنشأ لديه عقدة نفسية، من الذلة والضعف أمام من عفا عنه، لا يستطيع أن يحتفظ بين يديه بنفس الموقف الثابت المكين الذي كان عليه قبل أن يذنب فيعفو عنه.

وإرشادهﷺ إلى الاستغفار لهم بعد عفوه عنهم، ينطوي - والله أعلم بأسرار شريعته - على تأكيد إشعارهم بعظم ما اقترفوه من جريرة الهزيمة، ومن قبلها من جريرة الاغترار ببوادر النصر وابتغاء عرض الدنيا، وأن ما اقترفوه ليس ذنبا خاصا مع رسول اللهﷺ ينتهي أمره بعفوه عنهم، وإنما هو ذنب لا يغفره إلا الله، وقد لا يستحقون مغفرة الله لهم باستغفارهم أنفسهم، وإنما تنالهم المغفرة أن يستغفر لهم رسول اللهﷺ شفاعة منه عليهم، وهذا الإشعار يزيد من إدراكهم لضعف موقفهم ولمدى ذلتهم أمام رسول اللهﷺ. ولذلك جاء إرشادهﷺ إلى ما قد يخفف من اثار هذا الشعور، لا من الشعور نفسه، وهو أن يواصل استشارتهم ليرفع عنهم ما قد يدفعهم إليه شعورهم بذلتهم وضعف موقفهم، من الانعزال الاجتماعي، وما قد يسفر عنه ضعف موقفهم وذلته من إغراء غيرهم من الصحابة الذين لم يشاركوهم في ما اقترفوه من الإثر على عزلهم اجتماعيا. فلرفع هذه العزلة عنهم ذاتية كانت أم خارجية، أرشد الله - سبحانه وتعالى - نبيهﷺ بمواصلة استشارتهم، فقد استشارهم يوم بدر واستشارهم يوم أحد، وكانت المشاورة من مميزاتهﷺ. فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ إرشاد مصدره الرحمة التي نص عليها صدر هذه الآية الكريمة ﴿فبما رحمة من الله﴾.

ثم أن هذا الأمر، حتى ولو سلمنا ما ادعاه بعض قدماء المفسرين وجمهرة الأغرار المعاصرين، من أنه للوجوب، مقيد أو مبين نطاقه الذي لا يتجاوزه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾. الفاء هنا للتفريع والترتيب، تعني أن بعد الاستشارة يأتي العزم ثم التوكل. والتعبير بالعزم نص على حصر المسؤولية والتبعة في اتخاذ القرار في ولي الأمر المأمور بالاستشارة، فمهمته أن يستشير وأن يستمع إلى الآراء التي يعرب عنها المستشارون، ثم أن يتخذ القرار، وليس ملزما بأن يقبل آراءهم أو يرفضها، ولا أن يقبل رأي الأغلبية أو الأقلية، وإنما هو مأمور بأن يستشيرهم ليعلم ما عندهم، ثم هو المسؤول وحده على اتخاذ القرار، قد يكون مطابقا لرأي الأغلبية، وقد يكون مطابقا لرأي الأقلية، وقد يكون مستنبطا مما أنصت إليه من مداولات المستشارين دون أن يكون مطابقا، تماما، لرأي هذا الفريق أو ذاك.

ذلك بأن ولي الأمر - بحكم منصبه ومسؤولياته وتبعاته - يعلم من أسرار السياسة وغيرها من الأوضاع العامة، ما لا يعلمه غيره مهما تبلغ بهم الخبرة ويتمادى بهم الاضطلاع.

قد يكون الخبير في الاقتصاد مثلا أو في الحرب أو في غيرهما، أعلم بتقنيات ما هو خبير فيه، ولكنه قد لا يعلم المؤثرات الخارجية الموجهة للاستفادة بتلك التقنيات، فالتقنيات الاقتصادية مثلا تتأثر بمؤثرات سياسية قد تغير من ظرف أو أسلوب أو نهج استعمالها، وهو ما يخفى على الخبير وقد لا يخفى على ولي الأمر، بل يجب ألا يخفى عليه.

وهذه الحقيقة السياسية العميقة التي يتجاهلها الأغرار المعاصرون، وهي واقعة أمام أعينهم تتكرر بشكل يكاد يكون متواصلا حتى في أشد الدول الديمقراطية، تبجحا بالتمسك بقواعد الديمقراطية بزعمها، فنحن نشهد تصرفا أصبح من التقاليد السياسية الراسخة بين المسؤولين الأول في الدول المعاصرة جميعا بدون استثناء حين يجتمع إثنان منهم - لا سيما في ما يسمى «زيارة الدولة» - إذ يجتمعان على انفراد أولا حتى وإن سبق اجتماعهما، اجتماع مستشاريهم وتقنييهم، لإعداد النصوص الرسمية التي يراد منهم أن يوقعوها، ثم يلتحق بهم مستشاروهم وخبراؤهم أو البعض منهم. يحدث هذا حتى لا يكون الملتقيان متساويين في الرتبة، مثل أن يلتقي رئيس جمهورية رئاسية أو ملك ممسك بمقاليد الأمور ورئيس وزراء دولة، رئيسها - ملكا كان أم رئيس جمهورية - مجرد رمز تنحصر مهمته في التمثيل الشكلي للدولة. أما سياستها، ففي يد رئيس وزرائه.

وهذا التقليد السياسي شاهد عملي على أن أولياء الأمر في الدول يحتفظون من أسرار الأوضاع والاتجاهات، بما يرون أنه، إن تجاوزهم إلى غيرهم، وإن كان من أقرب مستشاريهم وخبرائهم، قد يفقد فعاليته، وقد ينتج عن تجاوزه، ما يحرصون على اجتنابه.

وهذا الاعتبار هو نفسه الذي دلت عليه الآية الكريمة: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ بـ«الفاء» التفريعية و«إذا» الشرطية الظرفية وبكلمة «عزم» وبإسنادها إلى «تاء الفاعل، فهي صريحة بأن اتخاذ القرار، من خصائص أولي الأمر الذي يملك وحده العزم، وليس من خصائص المستشارين، عليه أن يطيعهم في اتخاذه أو أن يتخذوه له فيوافق عليه، وهذا هو الفرق المميز لقاعدة الشورى في الإسلام وقاعدة الديمقراطية في بعض البلاد الديمقراطية، وليس في جميعها. وكثير من الدساتير المعاصرة، ومنها الدستور المغربي، ينص على شيء من هذا الاعتبار، إذ تبيح لرئيس الدولة أن يرفض توقيع أي تشريع يتخذه مجلس النواب أو مجلسا النواب والشيوخ وما على شاكلتهما، وأن يعود إلى الشعب في استفتاء، وأحيانا بعد أن يرده إلى من اتخذوه لإعادة النظر فيه، وقد يبين لهم المواد أو الأحكام التي يعترض عليها، لكن هذا التصرف الذي تنص عليه تلك الدساتير، قد يعرقل تشريعا تلز الحاجة إليه أو تلح عليه لزا أو إلحاحا لا يقبل الانتظار، ثم أنه يحدث إشكالا، وهو ما الحكم إذا أصر المستشارون على قرارهم وأصر ولي الأمر على اعتراضه، فهل يكون ولي الأمر ملزما بقبول قرارهم وهو مقتنع بخطئه، أم يغفلهم ويرفض قرارهم. وفي كلتا الحالتين، يصبح وضع ولي الأمر معتلا أو متحلحلا بما ينقص من هيبته ويعبر عنه من الاختلال في صلاحيته وسلطاته.

في بعض الأنظمة الجمهورية، يضطر رئيس الدولة إلى الاستقالة وإعادة انتخاب رئيس جديد. وفي أنظمة أخرى، يعاد انتخاب مجلس النواب أو مجلسي النواب والشيوخ، لكن ماذا يحدث إن أصر المجلسان الجديدان على ما أقره أسلافهما هذه المحاذير وما شاكلها، حسمها التشريع الإسلامي، فولي الأمر هو المسؤول الوحيد الذي يملك اتخاذ القرار، والمستشارون يقدمون الرأي المبني على الخبرة، ولذلك لا يعرف الإسلام مستشارين معينين لفترة من الزمن بانتخاب أو بتسمية من رئيس الدولة، وإنما يعرف مستشارين ينتخبهم موضوع الاستشارة، فلا معنى لاستشارة العسكريين في الاقتصاد، ولا لاستشارة الاقتصاديين في الشؤون العسكرية، ولا لاستشارة هؤلاء وأولئك في ما هو من صميم الشؤون السياسية، إلا أن يكون لشيء منها اتصال بالاقتصاد أو بالحرب، وهلم جرا.

فولي الأمر في الإسلام يستشير، لكن في كل موضوع، ذوي الاختصاص، والذين يستشيرهم ليسوا موظفين متفرغين لعمل اسمه الاستشارة أو التشريع، ولا يحملون بيت مال المسلمين أجورا لهم، لأنهم أولا أحرار في الاستفادة من أوقاتهم وجهودهم في ما ينفعهم في دنياهم، وليسوا محجوزين في انتظار أن يستشيرهم ولي الأمر، ولأنهم ثانية، إنما يستشارون حين يحدث حدث جديد ليس له حكم منصوص عليه في القران الكريم أو في السنة النبوية، أو حين يكون بحاجة إلى تبادل الفهوم وتقابلها للنصوص القرآنية أو السنية، لاستنباط الحكم الذي يضبط به الحدث في ذاته أو في مصاحباته، أو لأن الحدث يندرج في ما يكون الحكم فيه على قاعدة المصالح المرسلة، فتتعين الاستشارة للموازنة بين المصلحة والمفسدة وتقدير أيهما الأرجح، ولأنهم، ثالثا يتقاضون أعطيات شهرية من بيت مال المسلمين، تكفل لهم ضرورات الحياة أو جانبا منها طبقا لطاقات بيت المال.

ثم أن ولي الأمر لا سلطان لأحد عليه بعد أن يتلقى بيعة المسلمين، ما لم يعلن كفرا بواحا، وإن انحرف في حكمه عن شريعة الله، غاية ما على المسلمين، أن ينصحوه ويحاولوا إقناعه بالحسنى بالرجوع إلى شرع الله، فالبيعة في الإسلام فوق كل اعتبار لا تضبطها الشرائع الوضعية ولا الدساتير، بل هي التي تتحكم في الشرائع الوضعية والدساتير قبل أن يبايع ولي الأمر. وعند شغور منصب ولاية الأمر، بوفاة الولي أو عجزه، يكون الأمر لأهل الحل والعقد. فإذا اختاروا - طبقا لضوابط معينة في التشريع الإسلامي - وليا للأمر، انتهت مهمتهم وأصبح ولي الأمر المبايع يستمد سلطانه من شريعة الله ومن حكمه. فالسيادة في الدولة الإسلامية لله، وأهل الحل والعقد حرس على تطبيقها بما لهم من حق البيعة الذي تنتهي مهمتهم بأدائه، لأن البيعة هي الأساس الذي قامت عليه الدولة الإسلامية على يد رسول اللهﷺ منذ بيعة العقبة الأولى، ولأنها كما في الحديث النبوي الشريف، من رواية كل من عبد الله بن عمر وعبادة بن الصامت وغيرهما، وبطرق تبلغ حد التواتر أو تكاد تنص على السمع والطاعة لولي الأمر في المنشط والمكره.

ومن كرمهﷺ ورحمته بأمته، كان يعقب لمن بايعه بقوله: «فيما استطعتم».

وشريعة الله في الإسلام، فوق كل تشريع تتحكم في التشريعات الوضعية، ولا يجوز لأي تشريع وضعي أن يتخطى، وإن قيد أنملة ضوابطها وأحكامها، ولذلك نص الدستور المغربي وكثير من دساتير الدول الإسلامية، على أن ما يتصل بالقيم الإسلامية وبالتشريع الإسلامي، من مواده لا يجوز تعديله، وكذلك ما يتصل بالنظام الملكي عندنا، لأن الملك مبايع، أميرا للمؤمنين بيعة شرعية، فهو محصن بالقرآن الكريم والسنة النبوية، محمي بأحكامهما، ولا سلطان عليه لأحد من البشر، إلا أن يرتد عن الإسلام. فلو أن الملك أصبح علمانيا، لوجب خلعه على جميع المسلمين، إن استطاعوا ذلك. والمغرب بحمد الله تتولى مقاليده سلالة متعاقبة من العترة النبوية يسلمها السبط عن السبط، وسيبقى، كذلك ما بقيت الدنيا، إن شاء الله، وعسى أن يكون هو المصداق لقولهﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي اثنان». وانظر بحثنا المنشور في دعوة الحق، العدد: 296، السنة الرابعة والثلاثون، تحت عنوان من دلائل النبوة أمير المؤمنين.

وإلى لقاء مقبل ❐

نظام الحكم في الإسلام من خلال النظام الملكي بالمغرب

الاستاذ:
التهامي محمد الوكيلي

تختص الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع بالشمول والإحاطة، فلا يوجد في الحياة الدنيا شيء ولا علاقة ولا ظاهرة إلا وللشريعة الإسلامية حكم فيه وتعليم واضح وثابت، ويسر سبل تجديد البحث والفهم والاجتهاد في الأمور التي تحكمها إكراهات الزمان والمكان ويتطلب الدين نفسه إخضاعها للتطوير والتحيين مكرسا بذلك صفته الكونية في المكان والأزلية في الزمان والشمولية في الأجناس والأمم.

وإن هذه الخصوصية الإسلامية هي التي جعلت الإسلام يشتمل على أحكام وتعاليم تتعلق في آن واحد بالعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والعقائد، وبحقوق الفرد والجماعة، وحقوق الإنسان والطفل والمرأة والأجير والأسير، وبنظم المبايعات والأشكال المختلفة للتعاقد، وأيضا بالجماليات والمتع الحسية الدنيوية التي يهذبها الإسلام فلا تكون وسيلة من وسائل السقوط في الغواية والهوى والضلالة.

وإن الشريعة بهذه الشمولية وهذا الجمع لا تعدم أن تشمل أحكاما وتعاليم تتعلق بتنظيم الدولة والمجتمع والعلاقات بين الحكام والمحكومين، وباقي المجالات الأخرى المتعلقة بممارسة مسؤوليات الحكم وسلطاته، وبشؤون السلم والحرب، وبالاتفاقيات والمعاهدات، وكذا بمطلب طاعة المحكوم للحاكم، وواجب تحلي هذا الأخير بالنزاهة والتقوى والشفافية وبالترفع عن المصلحة الخاصة لحساب المصلحة العامة للوطن وللأمة ولدين الله قبل ذلك وبعده.

لقد أرسى الإسلام نظام الحكم في الدولة المسلمة على أسس تتخطى مجالات الوعظ والإرشاد والهداية وتلقين شؤون العبادات والمعاملات، إلى نطاق التنظيم المحكم والذي تصاغ الدولة فيه صياغة واضحة ومرتبة ترتيبا من شأنه أن يصون سيادة الدولة الإسلامية عن العبث وعن الاعتداء والتخريب والإفساد سواء كان ذلك من خارجها أو من داخل دواليبها. وفي هذا يقول الحق جل وعلا ولم يزل قائلا عليما: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ وهذه كلها إشارات واضحة إلى أن رسالة الإسلام إنما تهدف إلى إقامة القسط بين الناس، أي العلاقات المنظمة والمحكمة والتي لا جور فيها ولا بغي، ولا شيء بغير حق وبلا ميزان عادل، وأن هذا إذا لم يتحقق باللين وبالنصيحة فإن في الحديد بأسا شديدا، كناية عن استعمال القوة للضرب على الفساد ومنعه من الاستشراء بين الناس.

هذه إذن إرادة الله عز وجل بأن يعيش الناس عامة، والمسلمون خاصة، عيشة منظمة الشؤون والمسؤوليات والعلاقات، أي عيشة منتظمة داخل دولة محكمة التنظيم، فكيف جاء نظام الدولة وعلاقاتها في الإسلام، وما هي الأسس التي أنبنت عليها هذه العلاقات بين الحاكم والمحكوم؟

لقد كانت مبايعة المسلمين الأوائل لرسول الله ﷺ في «العقبة» بمثابة اللبنة الأولى والقاعدة الراسخة لبناء الدولة الإسلامية، وقد قامت تلك البيعة الأولى على الأسس والمباديء التالية:

- السمع والطاعة لرسول الله ﷺ؛
- الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛
- الالتزام بنصرة الرسول ﷺ إذا تعرض لأي مكروه بمثل ما ينصر المبايعون (بالكسر) أنفسهم وأهليهم وأولادهم.

وهكذا كانت البيعة الأولى في الإسلام عقدا محكما تقوم به علاقة بين طرفين أحدهما يلتزم بتحمل مسؤوليات التسيير والتوجيه والتسديد، والثاني بأداء فروض الطاعة والامتثال من غير تردد وبالتصدي لكل ما من شأنه أن يمس هذا الكيان التعاقدي بسوء، مع الحرص على التصحيح والإصلاح في كل وقت وحين لدرء ما يأتي به جند الشيطان من الجن والإنس من المفاسد والبدع والمخاطر، عن طريق المواظبة والمثابرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى قول الحق وعدم خشية أي ملامة في ذلك. وهل هذا إلا التنظيم المتعارف عليه لكيان الدولة بالمفهوم الحديث، اللهم إلا من بعض الاختلاف في الأسماء وبعض المسميات، كحلول الديموقراطية محل الشورى، ونظام المجالس البرلمانية محل دار الندوة، والمؤتمرات محل سوق عكاظ، ومحل الأحلاف. وكل تلك التحولات مهما تباينت فيها الأحوال الجديدة عن سابقتها لا تخرج أبدا عن نفس الإطار الأساس لذلك التعاقد الأول، المنوه عنه، والذي يقتضي من الحكام النزاهة والعدل والحكمة ومن المحكوم الطاعة والامتثال والتضحية في سبيل الاستقلال والسيادة.

إن مفهوم الدولة في الإسلام، بهذه الصورة التي قدمنا لها أعلاه، يجعل هذا الكيان قائما بين طبقتين أو طائفتين، إحداهما حاكمة، والثانية محكومة، كما سبق القول، مع ضرورة قيام شروط أخرى هي عين الشروط التي تنص عليها القوانين الحديثة بخصوص قيام الدولة بالمفهوم الحديث للكلمة، فهناك الإقليم المتمثل أساسا في مكة والمدينة ونواحيهما، وهناك المهاجرون والأنصار الذين شكلوا نواة الرعية، وهناك الشرع الإسلامي الذي يشكل الدستور أو القانون الأسمى الذي تخضع له كل الأطراف والفئات والطبقات داخل نفس الكيان، ثم هناك الرسول ﷺ، الإمام والحاكم بأمر الله، والقاضي بما يرضي الله عز وجل، يعلم ويلقن ويهدي وينظم ويوجه ويسدد وينفذ أحكام الشريعة الإسلامية بالعدل والقسطاس.

هذه إذن صورة عجولة عن نشأة الدولة الإسلامية وبداية نظام الحكم في هذه الدولة، وعن النواة الأولى التي تطورت تنظيماتها وعلاقاتها إلى ما نشاهده اليوم، فكيف كان وكيف ظل نظام الحكم في المغرب بناء على المنظور الإسلامي المذكور، وهل يجوز للدارس أن يتطلع إلى نظام الحكم في الإسلام من خلال تطلعه إلى نظام الحكم في المغرب؟

لقد قامت الدولة المغربية الأولى، بعد الفتح الإسلامي، على نفس الأسس التي قامت عليها أول دولة في الإسلام، بمعنى أنها قامت على أساس العقيدة الإسلامية. فإدريس الأول كان ينظر إليه قبل كل شيء كسليل للبيت النبوي الشريف، وبالتالي كأصلح وأقدر من يمكن تنصيبه خليفة لرسول الله ﷺ. والحقيقة أن الحكم في المغرب ظل منذ تلك الأثناء قائما على نفس الأسس، إذ يعتبر الملك أميرا للمؤمنين، أي إماما وخليفة لرسول الله ﷺ، كما أن البيعة التي تطوق عنق الملك في نظام الحكم المغربي ويلتزم بها الشعب بالسمع والطاعة هي نظير للبيعة الأولى التي شهدتها العقبة، والتي قامت بين مؤسس أول دولة إسلامية في التاريخ الإنساني، وبين الرعية الأولى لهذه الدولة، إن المغاربة يبايعون ملكهم الآن، ومنذ نشوء أول دولة إسلامية على يد المولى إدريس الأول، على السمع والطاعة والامتثال. وعلى الثقة والمحبة المتبادلة، وأيضا على التزام ملكي بالسهر على حماية حمى الملة والدين أولا، ثم حماية الكيان المنظم للدولة برمته، إقليما، ورعايا، وسيادة، واستقلالا سياسيا واقتصاديا وثقافيا، ثم إقامة أسس العدل والقسطاس في كل العلاقات داخل الدولة وبينها وبين غيرها من الدول. وكل ذلك، على نفس الأسس العقدية التي كانت عليها دولة الإسلام الأولى، اللهم إلا ما تبدل وتغير من القوانين والأحكام التي اقتضى تطور المجتمع، الإنساني عامة والمسلم خاصة والمغربي بصورة أخص، أن تكون موضوعا للاجتهاد وللتحيين والتطوير دون المساس بالثوابت التي قامت عليها دولة الإسلام دائما وأبدا والتي ستظل تميزها عن باقي النظم والدول والمجتمعات.

إن نظام الحكم في المغرب لم

◄

يفصل قط بين الدين والدولة، كما شاء بعض الكيانات المسلمة التي اختارت طريق العلمانية أن يفعل. فالملك الحاكم هو أمير المؤمنين في آن واحد، وبالتالي فالدولة والدين شأنان متناغمان ومتكاملان، أو وجهان لعملة واحدة هي نظام الدولة المغربية. وهذا يقتضي أن يكون رأس الهرم في نظام الحكم المغربي حارسا يقظا على القيم الدينية العقدية للإسلام، وحريصا على بقائها باستمرار أرضية صلدة وخصبة، في الوقت ذاته، تقوم عليها كل الاجتهادات والتحيينات والتطويرات التي يمكن أن يخضع النظام لها على مر الحقب والعصور، وهذا بالذات، هو الذي يحفظ لنظام الحكم في المغرب صبغته الإسلامية ويمكنه في الآن ذاته من أسباب الاستمرار مع قابلية طبيعية وبديهية للتجديد والتطور كلما تطلب الأمر ذلك، فيكون هذا التغيير في نظام الحكم تغييرا موضوعيا لا يمس ثوابته المستمدة من نفس ثوابت دولة الإسلام الأولى، والتي سبقت الإشارة إليها أعلاه، ولكنه تغيير، فحسب، في المناهج والأساليب، وفي أدوات ممارسة السلطة، وفي المفاهيم التي عليها تقوم العلاقات بين أطراف الدولة وفئاتها ومستوياتها المختلفة.

لقد عرف المغرب نظام الحزب الوحيد، وشبه الحزب الوحيد، كما عرف نظام الحزبين، وعرف بعد ذلك نظام التعددية؛ وكان الملك في نظام الحكم المغربي حاكما مطلقا لأن الظروف التاريخية كانت تقتضي ذلك، ثم تحول نفس النظام إلى ملكية متفتحة، ثم إلى ملكية دستورية، ثم إلى ملكية دستورية ديموقراطية، ثم إلى ملكية سائرة باتجاه إرساء ثقافة الحق والقانون، والتأسيس لثقافات أخرى وأنماط متعددة ومختلفة تناسب الأحوال والمفاهيم القادمة واللاحقة... ولكن هذا النظام ظل دائما وأبدا نظاما إسلاميا بالمفهوم الأول، الذي يقوم على البيعة، وعلى نفس المبادىء الأساسية التي قامت عليها البيعة الأولى، والتي ترتب على الرعية التزام السمع والطاعة والانضباط، والمسارعة إلى الإصلاح وإلى التصحيح وإلى نصرة الحاكم والدفاع عن النظام في مفهومه الشمولي، وترتب على الحاكم المبايع له (بالفتح) مسؤولية التوجيه والتسديد وممارسة التسيير بالعدل والقسطاس وبما يتطلبه الإسلام من النزاهة والإيثار وإنكار الذات لفائدة المصلحة العامة، ليس كحاكم ملك ذي سلطة ونفوذ فحسب، وإنما أيضا كإمام وأمير للمؤمنين، أي كحارس أمين على سيادة الشرع الإسلامي أولا وأخيرا، وبقائه منهجا أساسيا قويما لاستمرار هذه الدولة ولرفعتها وازدهارها بين باقي الأمم والدول.

نعم، إن نظام الحكم في المغرب يقدم صورة مثلى لنظام الدولة الإسلامية ليس بالمفهوم الذي يجعله نسخة مماثلة ومشابهة كل التماثل والتشابه للدولة الإسلامية الأولى، ولكن، بالمفهوم الذي يجعل هذا النظام نموذجا معتدلا ومتوازنا من الأصالة والحداثة، ومن الكيان الإسلامي الحداثي الذي يحتفظ للحاكم بصبغتيه الدينية والدنيوية (كمالك وأمير للمؤمنين في آن واحد) وهذا بالذات ما يرشحه للبقاء قيد صفة خليفة الرسول الكريمﷺ، فضلا عن انتساب الملك شخصيا إلى تلك الدوحة الشريفة وانحداره من غصن وارف من أغصانها الباسقة أبد الدهر.

إن نظام الحكم الملكي في المغرب ينص دستوره في ديباجته على أن هذا البلد دولة إسلامية لغتها الرسمية لغة القرآن، وأن نظام الحكم نفسه نظام دستوري يعتمد الاستشارة الشعبية وإشراك الشعب في التخمين والتخطيط والتنفيذ والمراقبة والمتابعة والتصويب والتصحيح أساسا لممارسته للسلطة ولتدبيره لشؤون الدولة والحكم.

ونظام الحكم في المغرب يصغي إلى العلماء في شؤون الدين، ويخص مجامعهم العلمية ومناظراتهم ورابطاتهم وفعالياتهم المتعددة والمختلفة بشديد الاعتبار والتقدير، ويضعهم في صميم كل الاختيارات المصيرية، ويبوئهم مكانة مرموقة في كل علاقات الحوار والشورى وفي كل المواثيق الوطنية الكبرى، كميثاق الاندماج في التنمية لجميع مكونات الأمة المغربية رجالا ونساء وأطفالا وشبابا وشيوخا وطاقات وفعاليات مفيدة ومستفيدة.

ونظام الحكم في المغرب يتمسك بالسنة النبيوية على ضوء المالكية التي وجدت في المغرب مستقرا وأرضا خصبة للتطور والتجديد، وينظم لهذه الغاية مجالس ودروسا علمية ويخصص كراسي جامعية ودورا ومعاهد يجتهد العلماء في رحابها أيما اجتهاد في جعل دولة الإسلام في هذه الربوع متطورة متجددة على الدوام دون أدنى تهاون في التشبث بالثوابت الدينية ومبادىء الإسلام الأساسية.

وللمغرب تعليم عتيق يوازي مختلف أسلاك التربية والتعليم والتكوين يهدف بالأساس إلى الحفاظ على الطابع الإسلامي للجهد العلمي والمعرفي، وإلى الربط المستمر للدنيا بشؤون الدين حتى لا تكون الدنيا غاية، وإنما وسيلة وسببا من أسباب تحقيق سعادة الدار الآخرة التي هي الأفضل والأبقى عند الله عز وجل.

وفي نظام الحكم في المغرب تجد قواعد راسخة للشرع الإسلامي في ممارسات متعددة ومختلفة للسلطة والحكم، كالحسبة، والتكافل الاجتماعي لمحاربة الأمية، والفقر، والجفاف، ولمواجهة مختلف المشاكل والآفات والكوارث، والتي يهب الشعب المغربي في كل منها هبة رجل واحد بإشارة من الملك الإمام لإيقانه بصدق الدعوة وسلامة القصد والعاقبة.

وفي مسار الحياة الاجتماعية والثقافية للمغرب انعكاسات كثيرة وجلية للمفاهيم المستمدة من المنظور الإسلامي إلى مختلف شؤون الحياة في الأسرة وفي المجتمع، وأشد ما يبدو ذلك ويتجلى في المناسبات الدينية والوطنية التي يحرص المغاربة حكما ورعية على الاحتفاء بها على الطريقة الإسلامية الأصيلة مهما اختلفت الأدوات والوسائل وتغيرت الأسماء والرسوم والعوارض، ولذلك يجد الدارس والملاحظ أن المجتمع المغربي بمختلف فئاته سرعان ما يتحول إلى كيان تقليدي أصيل فخور بتراثه معتد بعاداته وتقاليده وأصالته.

والنظام الملكي في المغرب واع كل الوعي ومدرك تمام الإدراك لهذه المكانة للإسلام في وجوده وكنهه وفي علاقته بالدولة والوطن والرعية وبالغير، ولذلك يحرص كل الحرص على البقاء نظاما إسلاميا قلبا وجوهرا مهما شهد القالب والرسم من التطور والتبدل... وفي ذلك بالذات سر بقاء هذا النظام طريا متجددا رافلا في حلل التقدير والتبجيل داخل الوطن المغربي وخارجه على السواء.

ميثاق الرابطة
لسان رابطة علماء المغرب

جريدة أسبوعية جامعة
*
العدد 923
السنة 33
الجمعة
25 ربيع الثاني 1421هـ.
الموافق 28 يوليوز 2000م
*
المدير المسؤول :
الحاج أحمد ابن شقرون
*
مدير النشر: إدريس كرم
*
رئيس التحرير :
محمد الخضر الريسوني
*
العنوان: 107 شارع فال ولد عمير. رقم : 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 67.03.51 (07)
الفاكس: 67.03.51 (07)
*
الثمن : 3 دراهم
*
الاشتراكات السنوية
داخل المغرب : مائة وخمسون درهما.
الحساب البنكي : 25201015549.01 وكالة بنك الوفاء- حي أكدال- الرباط
*
رقم الإيداع القانوني :
1994 / 160
الترقيم الدولي : ISSN : 4348
*
تصفيف وإخراج وسحب:
مطبعة فضالة- المحمدية
المغرب
*
ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية
وتعبر عن آراء أصحابها

البيعة والوفاء بالعهد

الأستاذ :
محمد الشرقاوي

البيعة هي عهد للذي ولاه الله أمر الأمة من ملك أو خليفة، بينه وبين هذه الأمة، يجب الوفاء به من كلا الطرفين، وقد يكون ذلك العهد شفاهيا، كما وقع ذلك في عهد الرسول ﷺ في بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية، ثم بيعة الرضوان فيما بعد. وقد تكون البيعة مكتوبة، فنرى نصوص البيعة تصدر بالحمد لله الذي نظم بالخلافة شمل الدين والدنيا وجعلها الدرجة العليا. وتكون البيعة كما هو معلوم بإجماع الأمة ممثلة في أهل الحل والعقد منها. وقد استحدث أمير المؤمنين سيدي محمد السادس تقييد اخر على نص البيعة المكتوبة، وهي أن توقع من طرف من حضرها من أهل الحل والعقد، وهو ما حصل بالفعل في بيعته بعد وفاة أبيه قدس الله روحه.

ونقتبس من نص هذه البيعة ما يؤكد هذا الكلام: «ولما كانت البيعة من الشرع وهي الرابطة المقدسة التي تربط المؤمنين بأميرهم وتوثق الصلة بين المسلمين وإمامهم. وكان فيها ضمان حقوق الراعي والرعية وحفظ الأمانة والمسؤولية، وسيرا على العهود في تقاليدنا الملوكية المرعية والتي بفضلها تنتقل البيعة بولاية العهد من الملك إلى ولي عهده من بعده، فإن أصحاب السمو الأمراء وعلماء الأمة وكبار رجالات الدولة ونواب الأمة ومستشاريها ورؤساء الأحزاب السياسية وكبار ضباط القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية والمدير العام للأمن الوطني ورؤساء الأحزاب السياسية والحاجب الملكي ومدير الأمانة الخاصة الملكية ومدير التشريفات الملكية، إثر ذلك تقدم الموقعون تباعا للسلام على جلالة الملك محمد بن الحسن أعزه الله وأيده».

ولما كان العهد أساس البيعة والوفاء به لحمتها وسداها، إذ بدونه تكون مفرغة المعنى والفحوى، من أجل ذلك ارتأيت أن أستعرض الآيات القرانية التي تتحدث عن الوفاء بالعهد، وبالعقود والإيمان، وهي تعتبر من الأخلاق والسلوك والاداب الحميدة في الإسلام، وقد اشتملت إحدى وعشرين آية من كتاب الله عز وجل على مختلف تلك الكلمات في إحدى عشرة سورة خمس منها مكية، والستة الباقية مدنية.

فقد جاء في سورة البقرة المدنية الحكم بالخسران على ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾.(1) وقد جاء في نفس السورة خطاب النبي ﷺ لبني إسرائيل قول الله عز وجل: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾(2) – ولكنهم – أي بني إسرائيل – كما جاء وصفهم في هذه السورة ﴿أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم﴾(3) وآخر آية جاءت عن العهد في سورة البقرة، هذه الاية العظيمة التي تعتبر من أوجه البر، الوفاء بالعهد ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن بالله واليوم الآخر﴾ إلى قوله ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾.(4)

وفي معرض ذم أهل الكتاب – خاصة اليهود – الذين لا يرون من بأس عليهم في عدم الوفاء بالعهد بالنسبة لمن هم على غير ملتهم، ويسمونهم الأميين أي الذين لم ينزل عليهم كتاب، قول الله سبحانه: ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾.(5) وتجيء بعد هذه الآية مباشرة آيتان اثنتان تحضان على الوفاء بالعهد، بغض النظر عن دين الموفى له، وإن كان مخالفا لدين الموفي بالعهد، وهذا منتهى العدل والإنصاف، وذلك قوله تعالى: ﴿بلى من أوفى بعهده واتقى، فإن الله يحب المتقين. إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾.(6)

ولنتأمل براعة الاستهلال في سورة المائدة المدنية حيث جاء في مطلعها في الاية الأولى منها، أمر الله للمؤمنين بالوفاء بالعقود: ﴿ياأيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود﴾(7) ثم أتى بجملة من هذه العقود فيما أحل لعباده منها وما حرمه عليهم، ليختمها بقوله عز وجل: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾(8) ثم بعد أن يذكر أحكام الوضوء، يختم بهذه الاية الكريمة: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا﴾.(9)

ونأتي إلى سورة الأنعام المكية، فنجدها في معرض الحديث عما حرم الله، تأتي باية تتوج بها تلك الوصايا الغالية، بل جزء من آية، وهي قوله تعالى في إيجاز وإعجاز ﴿وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾.(10)

ونأتي إلى سورة الأعراف المكية أيضا لنجد نقيض الوفاء بالعهد، وهو نكثه من طرف آل فرعون الذين طلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو الله لهم ليكشف عنهم الرجس الذي وقع عليهم، وكان الله قد سلط عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فبدل أن يوفوا بعهد الله بعدما كشف عنهم تلك المصائب، نكثوا عهده، قال تعالى: ﴿ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى: ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنومنن لك، ولنرسلن معك بني إسرائيل. فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون﴾(11) فكان عقابهم انتقام الله منهم بالغرق في اليم قال تعالى: ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بايانتا وكانوا عنها غافلين﴾.(12)

ونأتي إلى سورة الرعد المدنية، فنجد أن الوفاء بالعهد، وعدم نقض الميثاق من شيم ذوي العقول، قال تعالى: ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾(13) يقابل هؤلاء الناقضون للعهد بعد الميثاق. قال تعالى: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ إلى قوله: ﴿أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾.(14)

ونأتي إلى سورة النحل المكية لنجد أمر الله لعباده بالوفاء بالعهد وعدم نقضه بعد إبرامه، خاصة بعد توكيد الإيمان، قال الله عز وجل: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾.(15) ثم يضرب الله لنا المثل بالتي تنقض غزلها بعد حياكته وإحكامه بتعب، فكأنها تعبث يضرب الله هذا المثل للذي يبرم عقدا مع الغير، ثم ينكثه أو ينقضه، أو يحلف ثم يرجع في حلفه، فقال تعالى: ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم﴾.(16)

ومعنى قوله تعالى: ﴿تتخذون أيمانكم دخلا بينكم﴾ أي خديعة، وتغريرا بالمحلوف له ليطمئن إليكم، وأنتم مضمرون له الغدر وترك الوفاء، والدخل ما يدخل في الشيء فيفسده لأنه ليس منه.

ويتكرر النهي عن اتخاذ الأيمان ذريعة لنقض العهود في قوله تعالى: ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها﴾(17) أي تزل أقدام الحالفين عن محجة الصواب بعد استقامتها وهدايتها.

ثم يبلغ النهي عن عدم الوفاء بالعهد ذروته في الايتين التاليتين لهذه الاية، وذلك حينما يصبح العهد محل مساومة، مهما بلغ ثمنها فهو قليل، بالمقارنة إلى ما عند الله من الثواب والأجر للذين يوفون بالعهد والميثاق، وذلك قوله تعالى: ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا، إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.(18)

ونأتي إلى سورة الإسراء المكية، فنجد الوفاء بالعهد، يأتي ضمن وصايا آية تنهى عن قرب مال اليتيم، ما لم تكن هناك مصلحة اليتيم نفسه. قال تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا بالعهد، إن العهد كان مسؤولا﴾(19) الشاهد في هذه الاية قوله تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد﴾ أي الذي تعاهدون الناس عليه وقوله تعالى: ﴿إن العهد كان مسؤولا﴾ أي عنه، وقيل يسأل العهد نفسه، تبكيتا لناقضه، وتقريعا له.

ونأتي لسورة المؤمنون، فنجد أن من صفات المؤمنين وسبب فلاحهم أماناتهم ووفاؤهم بالعهد، وذلك قوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾(20) فلا أمانة لمن لا عهد له، ولا عهد لمن لا أمانة له.

ونأتي إلى سورة الأحزاب المدنية فنجد الله سبحانه يمدح المؤمنين الصادقين، خاصة في وقت الشدة، وتألب قوى البغي والعدوان على عناصر العدل والإحسان، وذلك قوله تعالى: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله. وما زادهم إلا إيمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾.(21) ومعنى قوله تعالى: ﴿وما بدلوا تبديلا﴾ أي ولم يبدلوا عهدهم الذي عاهدوا الله تعالى عليه من الجهاد في سبيله.

ومسك الختام في الوفاء بالعهد في القران الكريم ما جاء في سورة الفتح المدنية عن طريق المبايعة، في بيعة الرضوان تحت الشجرة المباركة ورسول الله ﷺ باسط يده للصحابة رضوان الله عليهم للمبايعة، وفوق الأيدي جميعا يد الله التي قد تعني بطشه وقوته، وقد تعني رأفته ورحمته، بطشه بالذي ينكث العهد، ورأفته ورحمته على الذي يوفي بالعهد، فيرضى عنه ويوتيه أجرا عظيما، وذلك قوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم. فمن نكث، فإنما ينكث على نفسه. ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما﴾(22) ولهذه الاية الكريمة ارتباط بقول الله تعالى في نفس هذه السورة (الفتح): ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما﴾.(23)

الهوامش :

1) البقرة، 27.
2) البقرة، 40.
3) البقرة، 100.
4) البقرة، 177.
5) آل عمران، 75.
6) آل عمران، 76–77.
7) المائدة، 1.
8) المائدة، 5.
9) المائدة، 7.
10) الأنعام، 152.
11) الأعراف، 135.
12) الأعراف، 136.
13) الرعد، 19–20.
14) الرعد، 25.
15) النحل، 91.
16) النحل، 92.
17) النحل، 94.
18) النحل، 95.
19) الإسراء، 34.
20) المؤمنون، 8.
21) الأحزاب، الآيات: 22 – 23 و24.
22) الفتح، 10.
23) الفتح الآيتان: 18 و19 والشجرة المذكورة هنا هي سمرة كانوا يستظلون بها وقد قطعها عمر رضي الله عنه حين رأى – بعد وفاة الرسول ﷺ – طواف المسلمين بها وتعظيمهم لها ❑

نص البيعة الشرعية المقدمة لأمير المومنين
جلالة الملك محمد السادس
بمناسبة اعتلائه عرش أجداده المنعمين

الحمد لله الذي جعل الإمامة العظمى أمنا للأمة ونعمة ورحمة وجعل البيعة ميثاقا، والطاعة لأولي الأمر عهدا ووفاء. فقد قال تعالى: " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ".

وقال سبحانه: " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ".

وقال مولانا رسول الله ﷺ: " من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية ".

وإنه لما قضى الله بوفاة أمير المومنين ابن أمير المومنين، وإمام المسلمين في هذا البلد الأمين جلالة الملك الحسن بن محمد ابن يوسف بن الحسن - قدس الله روحه وطيب ثراه - وعظم بارحم الرحمة مثواه، ولما كانت بيعته الشريفة في أعناق المغاربة جميعا من لهجة إلى الكويرة، وكانت البيعة من الشرع، وهي الرابطة المقدسة التي تربط المومنين بأميرهم، وتوثق الصلة بين المسلمين وإمامهم، وكان فيها ضمان حقوق الراعي والرعية وحفظ الأمانة والمسؤولية. وسيرا على المعهود في تقاليدنا الملوكية المرعية، والتي بفضلها تنتقل البيعة بولاية العهد من الملك إلى ولي عهده دون تعديل، فإن أصحاب السمو الأمراء، وعلماء الأمة، وكبار رجالات الدولة، ونواب الأمة ومستشاريها، ورؤساء الأحزاب السياسية، وكبار ضباط القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية الموقعين أسفله إذ يعبرون عن المنعم بفقدان رمز الأمة سليل الملوك العلويين الكرام، وواسطة عقد الأئمة العظماء الأعلام، مولانا الحسن بن مولانا محمد بن مولانا يوسف بن مولانا الحسن، ويبتهلون إلى الله جلت قدرته وتعلت عظمته أن يسكنه فسيح الجنان، ويحسن إليه أكبر الإحسان، على إخلاصه ونصحيته وأدائه الأمانة على وجهتها، ووفائه بالرسالة بأكملها، يقدمون بيعتهم الشرعية لخلفه وارث سره صاحب الجلالة والمهابة أمير المومنين سيدنا محمد بن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن، جعل الله أيامه أيام يمن وخير وبركة، وسعادة على شعبه وبلاده، وحفق على يديه الكريمتين آمال هذه الأمة الوفية المتمسكة بعرشه، والمتعايشة بعهده، ملتزمين بما تقتضيه البيعة من الطاعة والولاء، والإخلاص والوفاء، في العسر واليسر والمنشط والمكره، طاعة لله - عز وجل - واقتداء بسنة رسوله ﷺ، سائلين الله لأمير المومنين طول العمر ودوام النصر والعز والتمكين.

وحرر بالرباط في يوم الجمعة 9 شهر ربيع الثاني 1420 الموافق ل: 23 من يوليوز 1999.

أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس خير خلف لخير سلف

فضيلة الأستاذ

الشيخ لارباس ماء العينين

النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

رئيس المجلس العلمي بالأقاليم الجنوبية

□ لقد خص الله المغرب الأقصى بأن جعل مقاليد حكمه بيد سلالة الرسول محمد ﷺ مجسدة في العرش العلوي المجيد، فمنذ أن انتقل ملك المغرب إلى هذا البيت النبوي الشريف ووطننا الغالي بالرغم من محاولات العدو خارج الوطن وداخله يعيش في عز وأمن وسلام يحميه هذا العرش العلوي المنيف من كيد الكائدين ويرد عنه عبث العابثين ويحميه من طمع الطامعين، فحصن العرش العلوي المجيد الثغور وحمى الحدود وحافظ على جمع شمل الشعب المغربي ودافع عن الإسلام والمسلمين.

فكان جلالة المغفور له الحسن الأول عرشه على صهوة جواده، لتفقد أحوال شعبه والوقوف على مايعاني منه كل سكان إقليم على حدة من جنوب المغرب وشماله وشرقه وغربه، ليعيش الكل في اطمئنان كامل بالرغم من ترامي أطراف المملكة، هذا مع عدم سرعة المواصلات. اقتداء بما قام به أجداده الكرام وعلى هذا المنهج القويم والصراط المستقيم سار كل ملوكنا العلويين العظام فمكنوا هذا الشعب المغربي من كل مايصبو إليه لا يبالون في سبيل عزته بهول الخطر الذي يواجه الأمة يتصدون له حتى لا يبقى له أدنى أثر بإيمان الواثق من نفسه المدافع عن كرامته في إطار الحق والمشروعية.

وما موقف المغفور له جلالة الملك محمد الخامس وجناحه الأيمن في كل خطوة يخطوها لصالح الأمة جلالة المغفور له الحسن الثاني رضي الله عنهما ضد الوجود الاستعماري حتى حررا هذه الأمة، واستكمل وحدتها القائد الفذ الحسن الثاني طيب الله تراه بمسيرة سلمية خضراء حررت الصحراء، إلا خير دليل وأعظم شاهد على ما أسدى ملوكنا العلويون العظام لهذا الشعب من قيم مثلى ومكانة سامية ورفعة عالية جعلت شعبنا المغربي يباهي بقيادة العرش العلوي المجيد والجالس عليه جلالة الملك محمد السادس الذي يبادله أفراد الشعب المغربي حبا بحب ووفاء بوفاء.

ولا غرابة في ذلك فجلالة الملك محمد السادس الذي يتربع وبكل جدارة على عرش أسلافه المنعمين خير خلف لخير سلف.

فمنذ أعز الله أمره وخلد في الصالحات ذكره أن قام بالأمر بعد والده العظيم وبايعته الأمة المغربية بيعة شرعية وفق ماينص عليه الكتاب والسنة، وأمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله يرفع من شأن شعبه ويزيده مكانة في قلوب قادة العالم وشعوبه لما وهبه الله من حكمة وبعد نظر وحنكة سياسية جعلت قادة العالم وشعوبه يجعلونه في مكانة سامية من التقدير والتجلة والاحترام يعتز بها الشعب المغربي والعالم العربي والإسلامي.

وإن زياراته الموفقة للدول التي سافر إليها واقتبله ملوكها ورؤساؤها وشعوبها بكل حفاوة مشكورين وما قيل في شخصه العظيم من شهادات مدح وثناء من شخصيات رسمية ومؤسسات علمية ومن رجالات فكر وقلم ومن مختلف شرائح المجتمع لما تعتز به الأمة الإسلامية والعربية ونفخر به نحن الأمة المغربية.

لقد تربى جلالة الملك محمد السادس في مدرسة والده العظيم جلالة الملك الحسن الثاني الذي قال عنها رضي الله عنه: «إنني من المدرسة الإسلامية مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام التي تفضل الحوار على كل شيء وتجعل من الحرب اخر مرحلة للحوار».

وبهذا السلوك المحمدي أبهر العالم ما أعطاه الله من صفات المجد والكمال فسهر هذا الملك المجاهد على تربية أمير المؤمنين فنهل من ينابيع المعارف وعل، حتى تضلع علما ومعرفة، ولم يبق مجال من مجالات الحياة النافعة إلا ومارس عمله به في حياة والده بكل نجاح فتخرج من مدرسة الحسن الثاني ذات العلوم المتنوعة فزيادة على نبوغه في العلوم العربية والإسلامية فقد أعجب العالم غاية الإعجاب ما شاهده فيه من تمكنه من معرفة اللغات الأجنبية من فرنسية وإنجليزية وإنسبانية مما أثار إعجاب أرباب الفكر والقلم بشخصية أمير المؤمنين محمد السادس:

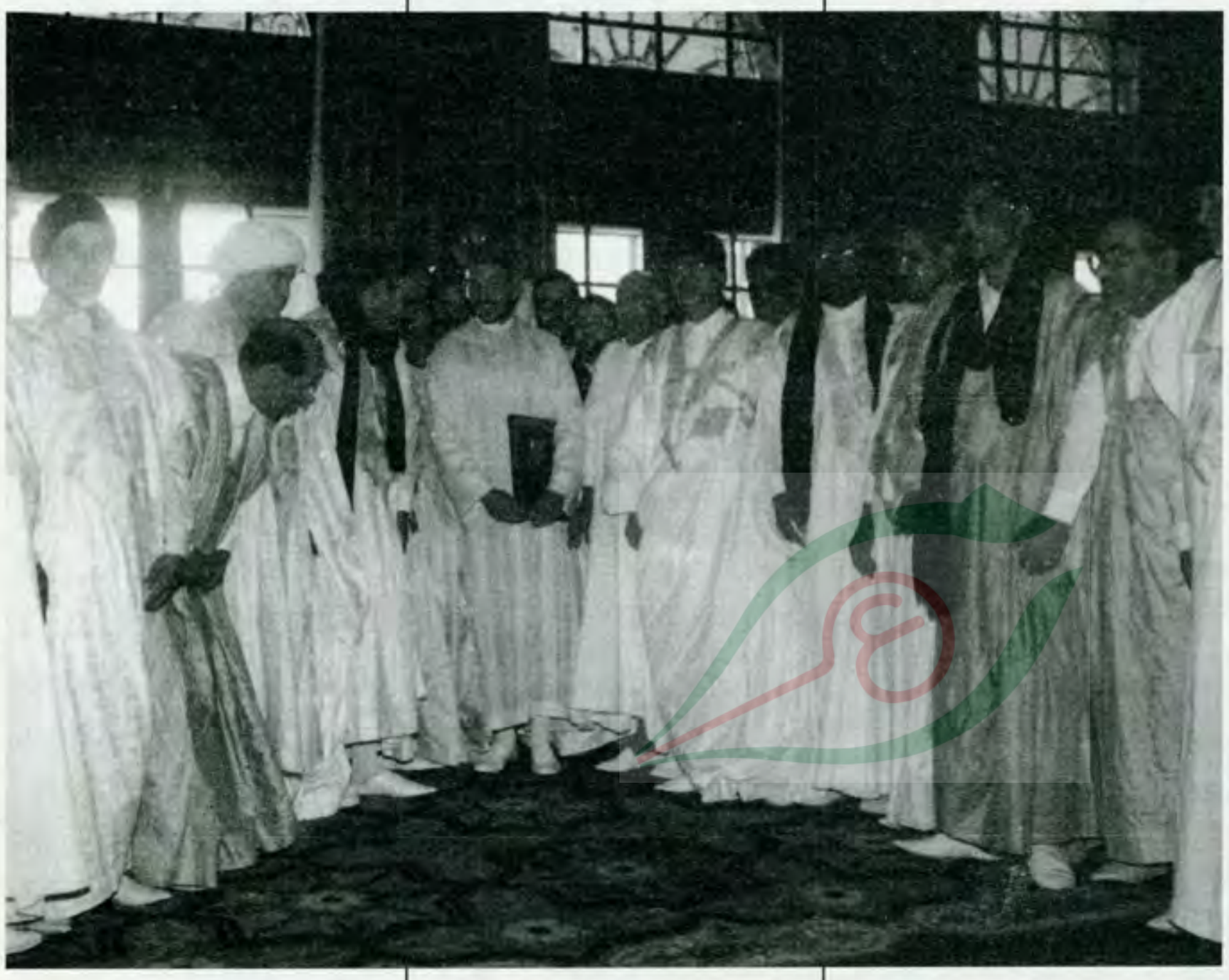

«وليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم في واحد»

لقد حرص جلالة الملك أعزه الله على تفقد أحوال شعبه من جميع أنحاء المملكة دام له النصر والتمكين وسهر على رعايته الحنونة لطبقات المستضعفين كما أبرز حدبه الأبوي على المرضى والمعوقين والفقراء من هذا الشعب الذي يهيم بالوفاء له والإخلاص لسدته العالية بالله.

فعنايته الفائقة بشرائح مجتمعه الذي يحبه من الأعماق منقطعة النظير فقد رسخ الديموقراطية وحمى الحقوق الإنسانية وكرس الجهد لتحقيق العدالة الاجتماعية وبادر أعزه الله بجدية فاعلة لتنعم سكان البوادي والجماعات النائية والطبقات المحرومة بما تنعم به سكان المدن من رخاء وأبى إلا أن يباشر هو بنفسه تلبية حاجات أمته.

واعتنى دام علاه بالعلم والعلماء والمشايخ وأهل الفضل، وحفظ للصالحين والأولياء وأماكن الدين والعبادة حرمتهم، ورفع من مكانتهم، وشمل الجميع بعنايته السامية وكان لالتفاتته المولوية الكريمة على هذه المجموعات الأصيلة أقوى أثر في نفوس المواطنين واطمأنت النفوس على المحافظة على قيم أمتنا وأصالتها ومنابع حضارتها.

ولقد نصح الشعب وناضل من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان وهيأ أمته بخطوات ثابتة وتخطيط مدروس وهادف حتى تساير عصر العولمة محافظة على جميع مقوماتها بارزة بين دول العالم مهيئة لدفاعها عن الحق والمشروعية محققة في عملها وسلوكها ومعاملاتها مع الغير قول الله عز وجل: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.

أعاد الله هذا العيد على جلالة الملك محمد السادس وهو يرفل في ثوب العز والنصر والتمكين مرات تلو مرات مقرور العين بصنوه مولاي رشيد وبجميع أفراد شعبه الذي يفديه بالنفس والنفيس.

ودام خير خلف لخير سلف إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير. □

نظام الحكم في الإسلام

الأستاذ :
عبد الرحمن زمرو

إن المتأمل للحكم في الإسلام يجده مبنياً على مبادئ وأسس رفيعة وفضائل مثالية منها على سبيل المثال لا الحصر!

- الانقياد للحق - التواضع للمسكين - استماع شكوى المستضعفين - التدين بالشرائع والعبادات - التجافي عن الغدو والمنكر والخديعة - نقض العهد - اجتناب المذمومات الوفاء بالعهد.

ودولة المملكة المغربية التي حافظت ولازالت تحافظ على دينها ونظام حكمها الإسلامي، منذ أن فتحها العرب وستبقى آمنة مستقلة تحت راية الدولة العلوية الشريفة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لارتباطات وثيقة عرقية ودينية. ولتوضيح ذلك، فابن يوسف ابن علي الشريف ابن الحسن الذي هاجر إلى المغرب من الجزيرة العربية سنة 664هـ. هو أحد أجداد رئيس دولتنا الشريف العلوي سيدي محمد السادس أعز الله أمره، وبعبارة أحسن أن محمدا السادس هو الحفيد السادس والثلاثون للنبي محمدﷺ فهو: محمد السادس ابن الحسن الثاني، ابن محمد الخامس ابن يوسف ابن الحسن الأول ابن محمد الرابع ابن عبد الرحمن ابن هشام ابن محمد الثالث، ابن عبد الله، ابن مولاي اسماعيل، ابن الشريف ابن محمد، ابن علي، ابن يوسف، ابن علي الشريف، ابن الحسن، ابن محمد، ابن الحسن، الذي هاجر إلى المغرب من الجزيرة العربية، ابن القاسم بن محمد، ابن الحسن ابن عبد الله، ابن أبو محمد، ابن عرفة ابن الحسن ابن أبو بكر، ابن علي ابن الحسن، ابن أحمد ابن اسماعيل، ابن محمد ابن محمد ذو النفس الزكية ابن عبد الله الكامل، ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط، ابن علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد النبي الكريمﷺ.

ورب سائل يسأل لماذا اعتنق المغاربة المذهب المالكي؟ فتتميماً لما أشرت إليه آنفا، فإن المغاربة اعتنقوا هذا المذهب عنوة، لأن الإمام مالك مفتي الحرمين الشريفين وفقيه وعالم المدينة المنورة.

وهناك ارتباطات أخرى أذكر منها: مبايعة الرسولﷺ في حياته من طرف قبيلة مغربية هي قبيلة بنو هلال. ومن هذه المعطيات نجد أن الحكم الإسلامي في المغرب هو حكم أصيل ومتواصل - وهو جزء من نظام الحكم في الإسلام -.

لهذه الأسباب يحتفل المغاربة بعيد العرش العلوي المجيد، المشرق بالنهضات، الحافل بالأمجاد، يصعد من مجد إلى مجد، ومن نصر إلى نصر.

ومن طبع المغاربة أنهم تربوا على حب الخير والتمسك بأهداب الفضيلة ومكارم الأخلاق والاتحاد الذي يضرب به المثل في أرجاء العالم (المسيرة الخضراء).

أقول: يحتفل المغاربة من طنجة إلى الكَويرة بالقيادة الحكيمة التي يتحلى بها ملكنا الشاب أمير المومنين أعز الله أمره.

وكتب التاريخ وسيكتب بمداد من الفخر والاعتزاز تلكم البيعة الشرعية التي كانت في أعناق المغاربة جميعا، والتي كانت تربط المومنين بأميرهم، وكان هذا ضمان حق الراعي والرعية وسيراً على العهد من الملك إلى ولي العهد من بعده.

فإن أصحاب السمو الأمراء والعلماء، ونواب الأمة، ورؤساء الأحزاب، وكبار الضباط (جزاهم الله خيراً عنا) قدموا البيعة الشرعية لخير خلف لخير سلف جلالة الملك محمد السادس جعل الله أيامه أيام فخر وخير وبركة.

وكان حقا علينا نحن المغاربة أن نفتخر لجلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، الذي أدب وهذب، وولد فأنجب، فحق للمغاربة أن ينصبوا الرايات ويختلفوا بذكرى تربع جلالة الملك الشاب محمد السادس على عرش أسلافه الميامين.

وما البيعة والتمسك بأهداب العرش العلوي المجيد إلا نموذجا من نظام الحكم في الإسلام مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾.

وحديث الرسولﷺ من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة الجاهلية. أسأل الله جلت قدرته أن يمتع مولانا الملك محمد السادس بطول العمر، وأن يحفظ الأسرة الملكية الشريفة من كل سوء ومكروه، وأن يحفظ صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي رشيد، إنه سميع مجيب والسلام.

أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله

هدية من جريدة «ميثاق الرابطة»
لسان رابطة علماء المغرب